

الطِّيَرَةُ والفَأْلُ

(التشاؤم والتفاؤل)

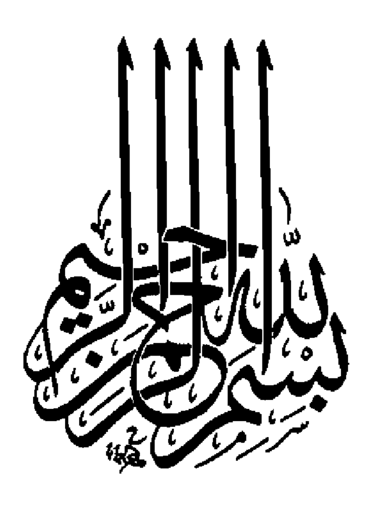
في ضوء الكتاب والسنة

تأليف
محمود بن خليفة الجاسم

دار ابن حزم


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الطِّيَرَةُ والفَألُ


بسم الله الرحمن الرحيم

طبعة دار ابن حزم الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

دار ابن حزم
للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - ص. ب: ١٤/٦٣٦٦

مقدمة السلسلة

في هذه الرسالة بحوث متسلسلة عن بعض التقاليد الجاهلية قديماً وحديثاً كالسحر والطيرة والشؤم والإصابة بالعين والهامة والغول والنوء وصفر . والسبب في اختياري هذه المواضيع أنها من الاعتقادات الجاهلية التي يجب على المسلم أن يجتنبها . وقد انتشرت هذه العادات في هذه الأمة ؛ والسبب في ذلك انتشار الجهل ، وبُعد كثير من المسلمين عن المنهج الصحيح وهو ما جاء في الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح . والمتأمل في واقعهم قليلاً يجد أن كثيراً من المسلمين لا يعلم عن هذه العادات شيئاً ، وأكثرهم يقع بها وهو لا يعلم أنها من الكفر أو الشرك .

لهذا أردت أن أكشف النقاب وأبصّر الأعين بهذه

العادات لكي يكون المسلم على علم بها ، فيسهل عليه من ثم الابتعاد عنها .

والمعلوم أن من أصول الدعوة السلفية التوحيد ومحاربة الشرك والبدع والخرافات ، وقد صدرت رسائل بهذا الصدد ، وهذه الرسالة على شاكلة ذلك ، والمقصود منها تصحيح عقائد المسلمين . والله الموفق والهادي .

وفي الختام أسأل الله العظيم أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به المسلمين إنه سميع قريب مجيب الدعوات .

محمود خليفة الجاسم

الجمعة ١/١/٨٧

الطِّيَرَةُ والفَأْلُ في ضوء الكتاب والسنة

معنى الطيرة والشؤم

معنـى الطيـرة :

١ ـ الـطِّيَرَةُ : بكسـر المهملة وفتح التحتـانية وقـد تسكن ـ هي : التشاؤم بالشين ـ وهو مصدر تطير مثل : تحير حيرة . قـال بعض أهـل اللغـة : لم يجيء من المصادر هكذا غير هاتين[1] .

٢ ـ والطَّيْرُ : من طار يطير طيرورة وطَيَـراناً وأطـاره غيره، وطيره وطايره بمعنًى[2]. وهو كل ذي جناح يسبح في الهواء[3] .

٣ ـ وتَطَيَّرَ فـلان ، واطَّيَّرَ أصلُهُ التفـاؤل بالـطير ثم يُستعمل في كل ما يتفاءل به ويتشاءم ، ﴿ **قالوا إنا تطيرنا بكم** ﴾ [يسٓ: ١٨] ، ولذلك قيل : لا طير إلا طيـرك ، وقـال تعـالى : ﴿ **وإن تـصبـهم سيـئـة يـطيـروا** ﴾ [الأعراف: ١٣١] أي : يتشاءَموا به[4] .

---

(١) فتح الباري ١٠/٢١٢ .

(٢) الصحاح ٢/٧٢ .

(٣) غريب القرآن للراغب ص ٣٠٩ .

(٤) المصدر السابق .

٤ ـ وتطاير الشيء تَفَرَّق وذهب وطار[١] .

٥ ـ والطائر : عند العرب الحظ ، وهو الذي تسميه العرب البخت فارسي معرب وقد تكلمت به العرب ، وهو الجَدُّ ، وإنما قيل للحظ من الخير والشر طائر ، لقول العرب : جرى له الطائر بكذا من الخير أو الشر ، على طريق الفأل والطيرة على مذهبهم في تسمية الشيء بما كان له سبباً[٢] .

٦ ـ والطِّيَرةُ مضادة للفأل وكانت العرب مذهبُها في الفأل والطيرة واحد ، فأثبت النبي ﷺ الفأل واستحسنه ، وأبطل الطيرة ونهى عنها[٣] .

معنى الشؤم :

١ ـ الشؤم : ضد اليمين ، يقال : تشاءمت بالشيء وتيمنت به[٤] .

هو بضم الشين المعجمة بعدها واو ساكنة ، وقد

(١) تاج العروس ١٢/٤٥١ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) المصدر السابق .
(٤) النهاية ٢/٥١٠ .

تهمز ضد اليمين يقال : تشاءمت ، بكذا وتيمنت بكذا[1] .

وقال ابن عبد البر في التمهيد (٢٧٨/١) : الشؤم في كلام العرب النحس ، وكذلك قال أهل العلم بتأويل القرآن في قول الله عز وجل: ﴿في أيامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ [فصلت: ١٦] قالوا : مشائيم .

قال أبو عبيدة : نحسات ذوات نحوس مشائيم . انتهى .

□□□

---

(١) انظر الصحاح ١٩٥٧/٥ .

حقيقة الطيرة عند الجاهلية

كان أهل الجاهلية يعتمدون على الطير ، فإذا خرج أحدهم لأمر ، فإن رأى الطير طار يُمْنة تيمن به واستمر ، وإن رآه طار يسرة تشاءم به ورجع ، وربما كان أحدهم يهيج الطير[١] ليطير فيعتمدها فجاء الشرع بالنهي عن ذلك ، وكانوا يسمونه : (السانح) بمهملة ثم نون ثم حاء مهملة والبارح بموحدة وآخره مهملة ـ فالسانح : ما ولاك ميامنه ، بأن يمر عن يسارك إلى يمينك . والبارح ما ولاك اليسار ، بأن يمر عن يمينك إلى يسارك ، والذي يجيء من أمامك فهو الناطح والنطيح ، والذي يجيء من خلفك هو القاعد والقعيد ، وكانوا يتيمنون بالسانح ويتشاءمون بالبارح ، لأنه لا يمكن رميه إلا بأن ينحرف إليه ، وليس في شيء من سنوح الطير وبروحها ما يقتضي ما اعتقدوه ، وإنما هو تكلف بتعاطي ما لا أصل له ، إذ لا نطق للطير ولا تمييز فيستدل بفعله على مضمون معنى فيه ، وطلب العلم من غير مظانه جهل من فاعله ، وقد

---

(١) أي : يطير طيراً .

كان بعض عقلاء الجاهلية ينكر التطير ويتمدح بتركه ، قال شاعر منهم :

الزجر والطير والكهان كلهم
مُضَلِّلُون ودون الغيب أقفال

فكان أكثرهم يتطيرون ويعتمدون على ذلك ، ويصح معهم غالباً لتزيين الشيطان ذلك ، وبقيت من ذلك بقايا في كثير من المسلمين[1] .

وكانوا يتطيرون أيضاً بصوت الغراب ، ويتأولونه البين . وكانوا يستدلون بمجاوبات الطيور بعضها بعضاً على أمور ، وبأصواتها المعهودة على مثل ذلك . وهكذا الظباء إذا مضت سانحة أو بارحة ، ويقولون إذا برحت : « من لي بالسانح بعد البارح » إلا أن أقوى ما عندهم كان يقع في جميع الطير ، فسموا الجميع تطيراً من هذا الوجه[2] ويقال : الطيرة أن يخرج لأمر ، فإذا رأى

(١) فتح الباري ١٠/٢١٣ ، تيسير العزيز الحميد ٤٢١ .
(٢) القرطبي ٧/٢٦٥ .

ما يحب ، مضى ، وإن رأى ما يكره انصرف[1] .

واختلف أهل الجاهلية في مراتب الطيرة والتشاؤم لأنها خواطر وحدوس وتخمينات[2] لا أصل لها فمن تبرك بشيء مدحه ومن تشاءم به ذمه ومن اشتهر بإحسان الزجر عندهم ووجوهه حتى قصده الناس بالسؤال عن حوادثهم وما أملوة من أعمالهم سموه عائفاً وعرافاً ، وقد كان في العرب جماعة يعرفون بذلك كعراف اليمامة والأبلق الأسيدي والأجلح وعروة بن يزيد وغيرهم فكانوا يحكمون بذلك ويعملون به ويتقدمون ويتأخرون في جميع ما يتقلبون فيه ويتصرفون في حال الأمن ، والخوف والسعة والضيق والحرب والسلم فإن أنجحوا فيما يتفاءلون به مدحوه وداوموا عليه وإن عطبوا فيه تركوه وذموه . ومنهم من أنكرها بعقله ، وأبطل تأثيرها بنظرة وذم من اغتربها واعتمد عليها وتوهم تأثيرها فمنهم الرقشي حيث يقول :

---

(١) شرح السنة ١٢/١٧٠ .

(٢) الحدوس والتخمينات بمعنى الظن والشك .

ولقد غدوت وكنت لا
أغدو على واق وحاتم
فإذا الأشائم كالأيامن
والأيامن كالأشائم
وكذلك لا خير ولا
شر على أحد بدائم
لا يمنعنك من بغاء
الخير تعقاد التمائم

ومعنى الواق الصرد وهو ضرب من الطيور ، والحاتم هو الغراب سموه حاتماً لأنه يحتم بالفراق[1] وكل ذلك من الضلالات .

وكانت العرب في الجاهلية تتشاءم وتتفاءل بالأسماء ، وتقلب الأسماء تطيراً وتفاؤلاً ، فكانوا يسمون اللديغ سليماً باسم السلامة وتطيراً من اسم السقم ، ويسمون العطشان ناهلاً أي سينهل ، والنهل الشرب تفاؤلاً باسم الري ويسمون الفلاة مفازة أي منجاة تفاؤلاً

(١) مفتاح دار السعادة ٢ / ٢٣٠ .

بالفوز والنجاة ولم يسموها مهلكة لأجل الطيرة .

وكانت لهم مذاهب في تسمية أولادهم فمنهم من سموه بأسماء الظفر تفاؤلاً بالظفر على أعدائهم نحو غالب وغلاب ومالك وظالم وعارم ومنازل ومقاتل ومعارك ومسهر ومؤرق ومصبح وطارق ، ومنهم من تفاءل بالسلام كتسميتهم بسالم وثابت ونحو ذلك ، ومنهم من تفاءل بنبيل الحظوظ والسعادة كسعد وسعيد وأسعد ومسعود وسعدي وغانم ونحو ذلك ، ومنهم من قصد التسمية بأسماء السباع ترهيباً نحو أسد وليث وذئب وضرغام وشبل ونحوها ، ومنهم من قصد التسمية بما غلظ وخشن من الأجسام تفاؤلاً بالقوة كحجر وصخر وفهر وجندل ، ومنهم من كان يخرج من منزله وامرأته تمخض فيسمي ما تلده باسم أول ما يلقاه كائناً ما كان من سبع أو ثعلب يوضب أو كلب أو ظهر أو حشيش أو غيره .

وكان القوم على ذلك إلى أن جاء الله عز وجل بالإسلام ومحمد رسوله ﷺ ففرق بين الهدى والضلال والغي والرشاد وبيّن الحسن والقبيح والمحبوب والمكروه والضار والنافع والحق والباطل ، فكره الطيرة وأبطلها واستحب الفأل وحمده فقال ﷺ : « لا طيرة وخيرها

الفأل ، قالوا : وما الفأل ؟ قال : الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم »[1] .

□□□

(١) المصدر السابق . والحديث أخرجه البخاري في كتاب الطب ١٠/٢١٤ . ومسلم في كتاب السلام (٢٧٤٦) .

ذكر الطيرة في القرآن

قال تعالى : ﴿ فإذا جَاءَتْهُمُ الحَسَنَةُ قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئةٌ يطّيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرَهُم لا يعلمون ﴾ [الأعراف: ١٣١] .

والمعنى : أن آل فرعون إذا أصابتهم الحسنة ، أي : الخصب والسعة والعافية على ما فسره مجاهد وغيره ، (قالوا لنا هذه) أي : نحن الجديرون الحقيقيون به ، ونحن أهله (وإن تصبهم سيئة) أي : بلاء وضيق وقحط يطيروا بموسى ومن معه فيقولون : هذا بسبب موسى وأصحابه أصحابنا بشؤمهم كما يقوله المتطير لمن يتطير به . فأخبر سبحانه أن طائرهم عنده فقال : (ألا إنما طائرهم عند الله) . قال ابن عباس : طائرهم ما قضي عليهم وقدر لهم .

وفي رواية ذكرها ابن جرير عنه قال : الأمر من قبل الله ، وفي شؤمهم عند الله ومن قبله .

أي : إنما جاءهم الشؤم من قبله بكفرهم وتكذيبهم بآياته ورسله .

وقيل : المعنى أن الشؤم العظيم هو الذي عند الله

من عذاب النار لا هذا الذي أصابهم في الدنيا .

وظاهر أن هذه الآية كقوله تعالى : ﴿ **وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كلٌّ من عند الله** ﴾ [النساء : ٧٨] .

أي : أن الكل من الله لكن هذا الشؤم الذي أجراه عليهم من عنده هو بسبب أعمالهم لا بسبب موسى عليه السّلام ومن معه . وكيف يكون ذلك وما جاء به خير محض . والطيرة إنما تكون بالشر لا بالخير .

وقوله : (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أي : أن أكثرهم جهال لا يدرون ، ولو فهموا أو عقلوا لعلموا أنه ليس فيما جاء به موسى عليه السّلام شيء يقتضي الطيرة(١) .

هذه بعض الآيات الدالة على ذكر الطيرة في القرآن ، وهناك آيات أخرى كذلك ، ومفهومها مفهوم هذه الآية ، والله أعلم . ومن هذا يعلم أن الطيرة موجودة قبل الجاهلية بكثير .

□□□

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٤٢٢ .

أقسام الطيرة والشؤم قديماً وحديثاً

١ ـ الهامـة :

وهي تسمى في القديم والحديث : « بالبومة » وهي طائر من طيور الليل .

قال ابن الأعرابي : كانوا يتشاءمون بها ، إذا وقعت على بيت أحدهم يقول : نَعَتْ إليّ نفسي أو أحـداً من أهل داري .

وقـد جـاء في الحـديث الصحيـح نفي ذلـك وهـو قوله ﷺ : « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر »[١] .

ومعنى الحديث : لا شؤم بالبومة ونحوها[٢] .

والتشاؤم بهذا الطائر موجود إلى يومنا هـذا ، فهناك كثير من المسلمين يتشاءمون من هذا الطائر ، وإذا وقعت البومة على بيت أحدهم يظن أنه سوف يصيبه مكروه وكل ذلك من الشرك والعياذ بالله تعالى .

---

(١) البخاري ١٠/١٥٨ ، ومسلم ٤/١٨٤٤ .
(١) فتح الباري ١٠/٢٤١ .

٢ ــ صفــر :

كان أهل الجاهلية يتشاءمون بصفـر ويقولـون : إنه شهر مشؤوم فأبطل النبي ﷺ ذلك . قال ابن رجب : كثير من الجهال يتشاءم بصفر ، وربما ينتهي عن السفر فيه . والتشاؤم بصفر هو من جنس الطيرة المنهي عنها[١] وكان أهل الجاهلية يتشاءمون بشوال وفي النكاح فيه خاصة[٢] .

٣ ــ أيـام الأسبـوع :

فهنــاك كثيــر من المسلمين يتشــاءم ببعض أيــام الأسبــوع ، ويكــون ذلــك عنــدمــا تكثــر المصــائب والمكروهات في هذا اليوم ، فيدخل الشيـطان عليه من هذا الباب ويقول له : أنت مسكين لا يصيبك الأذى إلا في هذا اليوم ، فهو يوم مشؤوم ، وعليك أن لا تخرج من منزلك في هـذا اليوم ، فـإذا كان من أصحـاب العقيدة السليمـة والفهم العميق بالله عـز وجـل ، يقـول : هـذا وسواس الشياطين ، ومن أعمال الجاهليين ، وأما إن كان من أصحاب الخرافات فهو يقول كما قالت الشياطين .

---

(١) تيسير العزيز ص ٤٣٣ .

(٢) المصدر السابق .

وقال الإمام ابن القيم : وأخذ بعضهم بالتفاؤل بالأيام فإذا رأى أحد رؤيا مثلاً يوم أحد أو ابتدأ فيه أمراً قال حدة وقوة ، وإن كان يوم الجمعة قال اجتماع وألفة ، وإن كان يوم سبت قال قَطْعٌ وفرقة[1] .

٤ ـ التشاؤم ببعض الرجال :

وهناك من يتشاءم ببعض الرجال ، وخاصة إذا كان قبيح المنظر ، وقد يصادف إذا دخل منزلاً أن تنطفىء أنوار هذا المنزل ، فيقول صاحب المنزل هو من قبح هذا الرجل ، ولعل الصواب أن حدوث هذا الأمر غالباً من خلل فني في الأنوار ، أو من إصابة العين وليس من قبح هذا الرجل لأن كل خلق الله حسن ، أخرج الإمام أحمد (٤/ ٣٩٠) عن الشريد بن سويد رضي الله عنه قال : (أبصر رسول الله ﷺ رجلاً يجر إزاره ، فأسرع إليه ، أو هرول فقال : « ارفع إزارك واتق الله » ، قال : إني أحنف[2] تصطك ركبتاي ، فقال : « ارفع إزارك فإن كل خلق الله عز وجل حسن » . فما رئي ذلك الرجل بعد

(١) مفتاح دار السعادة ص ٢/ ٢٢٩ .
(٢) الأحنف : هو إقبال القدم بأصابعها على القدم الأخرى .

إزاره يصيب أنصاف ساقيه أو إلى أنصاف ساقيه)[1] .

والشاهد من الحديث أنه عندما أمره ﷺ أن يرفع إزاره قال له الرجل : (إني أحنف تصطك ركبتاي) .

وظن هذا الرجل أن كلامه هذا حجة له في جواز إسبال إزاره ولكن قال له النبي ﷺ : « ارفع إزارك فإن كل خلق الله عز وجل حسن » .

أي : أنه لا يجوز لأحد أن يتكلم أو يعترض على الله عز وجل ، ويقول : لمَ خلقتني هكذا ، لأن كل خلق الله حسن ولا اعتراض على أمره سبحانه ، ولا معقب على حكمه وعلى خلقه فهو يخلق كما يشاء ، والذي يتشاءم ببعض الرجال لقبحه أو لإصابته ببعض الأمراض المكروهة أو العاهات والابتلاءات . . كالذين يتشاءمون بالأعور وبالأحول وأمثالهما . . فهو كالذي يعترض على الله عز وجل ويقول له : لماذا خلقته هكذا ؟ .

وهذا كله كفر بالله عزوجل واعتراض على حكمه

---

(١) أخرجه أحمد ٤/٣٩٠ ، والطحاوي في مشكل الآثار ٢/٢٧٨ ، والجزلي في غريب الحديث ٥/٢٥٧ ، وإسناده صحيح كذا قال الألباني في السلسلة ٣/٤٢٧ رقم ١٤٤١ .

وقضائه والله المستعان .

ويحكى عن بعض الولاة أنه خرج في بعض الأيام لبعض مهماته فاستقبله رجل أعور فتطير به وأمر به إلى الحبس فلما رجع من مهمة ولم يلق شراً أمر بإطلاقه ، فقال له : سألتك بالله ما كان جرمي الذي حبستني لأجله ؟ فقال له الوالي : لم يكن لك عندنا جرم ولكن تطيرت بك لما رأيتك ، فقال : ما أصبت في يومك برؤيتي ؟ .

فقال ـ أي ـ الوالي : لم ألق إلا خيراً .

فقال الرجل : أيها الأمير أنا خرجت من منزلي فرأيتك فلقيت في يومي الشر والحبس وأنت رأيتني فلقيت في يومك الخير والسرور فمن أشأمنا والطيرة بمن كانت ؟ فاستحيا منه الوالي ووصله[1] .

ولقد أخطأ الوالي بتشاؤمه بالرجل الأعور ووقع في الشرك ، وأخطأ الأعور بتشاؤمه بالوالي . [والله أعلم] .

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢ / ٢٣١ .

٥ ـ التشاؤم بالعطاس :

من العجيب أن أهل الجاهلية قديماً وحديثاً يتشاءمون بالعطاس كما يتشاءمون بالبوارح والسوانح . قال رؤبة بن العجاج يصف فلاة (قطعتها ولا أهاب العطاسا) ، وقال امرؤ القيس :

وقد أغتدي قبل العطاس بهيكل
شديد مشيد الجنب فعم المنطق

أراد أنه كان ينتبه للصيد قبل أن ينتبه الناس من نومهم ليلاً يسمع عطاساً فيتشاءم بعطاسه وكانوا إذا عطس من يحبونه قالوا له : عمراً وشباباً ، وإذا عطس من يبغضونه قالوا له : وريا وقحابا ، والورى كالرمي داء يصيب الكبد فيفسدها ، والقحاب كالسعاب وزناً ومعنى فكان الرجل إذا سمع عطاساً يتشاءم به يقول : (بك لا بي) أي : إني أسأل الله أن يجعل شؤم عطاسك بك لا بي ، وكان تشاؤمهم بالعطسة الشديدة أشد ، كما حكى عن بعض الملوك أن سامراً له عطس عطسة شديدة راعته فغضب الملك فقال سميره: والله ما تعمدت ذلك ولكن هذا عطاسي ، فقال : والله لئن لم تأتني بمن يشهد لك بذلك لأقتلنك ، فقال : أخرجني إلى الناس لعلّي أجد

من يشهد لي ؛ فأخرجه وقد وكل به الأعوان فوجد رجلاً فقال : يا سيدي ، نشدتك بالله إن كنت سمعت عطاسي يوماً فلعلك تشهد لي به عند الملك ، فقال : نعم أنا أشهد لك ، فنهض معه ، وقال : يا أيها الملك أنا أشهد أن هذا الرجل عطس يوماً فطار ضرس من أضراسه ، فقال له الملك : عد إلى حديثك ومجلسك . فلما جاء الله سبحانه بالإسلام وأبطل برسوله ﷺ ما كان عليه الجاهلية من الضلالة نهى أمته عن التشاؤم والتطير وشرع لهم أن يجعلوا مكان الدعاء على العاطس بالمكروه الدعاء له بالرحمة كما أمر العائن أن يدعو بالتبريك للمعين ولما كان الدعاء على العاطس نوعاً من الظلم والبغي جعل الدعاء له بلفظ الرحمة المنافي للظلم وأمر العاطس أن يدعو لسامعه ويشمته بالمغفرة والهداية وإصلاح البال فيقول : يغفر الله لنا ولكم أو يهديكم الله ويصلح بالكم . فأما الدعاء بالهداية فلما أن اهتدى إلى طاعة الرسول ورغب عما كان عليه أهل الجاهلية فدعا له أن يثبته الله عليها ويهديه إليها . وكذلك الدعاء بإصلاح البال وهي حكمة جامعة لصلاح شأنه كله وهي من باب الجزاء على دعائه لأخيه بالرحمة فناسب أن يجازيه بالدعاء له بإصلاح البال . وأما الدعاء بالمغفرة فجاء بلفظ

يشمل العاطس والمشمت كقوله : يغفر الله لنا ولكم معاً فصلوات الله وسلامه على المبعوث بصلاح الدنيا والآخرة ولأجل هذا والله أعلم لم يؤمر بتشميت من لم يحمد الله فإن الدعاء له بالرحمة نعمة فلا يستحقها من لم يحمد الله ويشكره على هذه النعمة ويتأسى بأبيه آدم فإنه لما نفخت فيه الروح إلى الخياشيم عطس فألهمه ربه تبارك وتعالى أن نطق بحمده فقال : الحمد لله ، فقال الله سبحانه : (يرحمك الله يا آدم) فصارت تلك سنة العطاس فمن لم يحمد الله لم يستحق هذه الدعوة ولما سبقت هذه الكلمة لآدم قبل أن يصيبه ما أصابه كان مآله إلى الرحمة وكان ما جرى عارضاً وزال فإن الرحمة سبقت العقوبة وغلبت الغضب . . وأيضاً فإنما أمر العاطس بالتحميد عند العطاس لأن أهل الجاهلية كانوا يعتقدون فيه أنه داء ويكره أحدهم أن يعطس ويود أنه لم يصدر منه لما في ذلك من الشؤم وكان العاطس يحبس نفسه عن العطاس ويمتنع من ذلك جهده من سوء اعتقاد جهلهم فيه ولذلك والله أعلم بنوا لفظه على بناء الأدواء كالزكام والسعال والدوار والسهام وغيرها فاعلموا أنه ليس بداء ولكنه أمر يحبه الله وهو نعمة منه يستوجب عليها من عبده أن يحمده عليها وفي الحديث المرفوع : (إن الله يحب العطاس

ويكره التثاؤب)[1] .

والعطاس ريح مختنقة تخرج وتفتح السد من الكبد وهو دليل جيد للمريض مؤذن بانفراج بعض علته وفي بعض الأمراض يستعمل ما يعطس العليل ويجعل نوعاً من العلاج ومعيناً عليه . هذا قدر زائد على ما أحبه الشارع من ذلك وأمر بحمد الله عليه وبالدعاء لمن صدر منه فحمد الله عليه .

ولهذا فالله أعلم يقال شمته إذا قال له يرحمك الله وسمته بالمعجمة وبالمهملة وبهما روي الحديث .

فأما التسميت بالمهملة فهو تفعيل من السمت الذي يراد به حسن الهيئة والوقار فيقال لفلان سمت حسن ، فمعنى سمّت العاطس : وقرته وأكرمته وتأدبت معه بأدب الله ورسوله في الدعاء له بخلاف أهل الجاهلية من الدعاء عليه والتطير به والتشاؤم منه ، وقيل : سمته دعا له أن يعيده الله إلى سمته قبل العطاس من السكون والوقار

(١) جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه (٦١١/١٠) كتاب الأدب وسيأتي كاملاً .

وطمأنينة الأعضاء فإن في العطاس من انزعاج الأعضاء واضطرابها ما يخرج العاطس عن سمته فإذا قال له السامع : يرحمك الله ، فقد دعا له أن يعيده إلى سمته وهيئته ، وأما التشميت بالمعجمة فقالت طائفة منهم ابن السكيت وغيره : أنه بمعنى التسمين وأنهما لغتان ذكر ذلك في كتاب القلب والإبدال ولم يذكر أيهما الأصل ولا أيهما البدل . وقال أبو علي الفارسي : المهملة هي الأصل في الكلمة والمعجمة بدل واحتج بأن العاطس إذا عطس انتفش وتغير شكل وجهه فإذا دعا له فكأنه أعاده إلى سمته وهيئته وقال تلميذه ابن جني : لو جعل جاعل الشين المعجمة أصلاً وأخذه من الشوامت وهي القوائم لكان وجهاً صحيحاً وذلك أن القوائم هي التي تحمل الفرس ونحوه وبهما عصمته وهي قوامه فكأنه إذا دعا له فقد أنهضه وثبت أمره وأحكم دعائمه وأنشد للنابغة : (طوع الشامت من خوف ومن طرد) . وقالت طائفة منهم ابن الأعرابي يقال : مرضت العليل أي : قمت عليه ليزول مرضه ، ومثله قذيت عينه أزلت قذاها فكأنه لما دعا له بالرحمة قد قصد إزالة الشماتة عنه ، وينشد في ذلك :

ما كان ضر الممرضي بجفـونه
لو كان مرض منعماً من أمرضا

وإلى هذا ذهب ثعلب . . والمقصود أن التطير من العطاس من فعل الجاهلية الـذي أبطله الإسـلام وأخبر النبي ﷺ أن الله يحب العطاس كما في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إن الله يحب العـطاس ويكره التثـاؤب فـإذا تثـاءت أحـدكم فليستـره ما استطاع فـإنه إذا فتـح فاه فقـال : آه آه ضحك منـه الشيطان »[1] .

٦ ـ الاستقسـام بالأزلام:

ومن أقسام التطير أيضاً الاستقسام بالأزلام .

والأزلام : القداحُ التي كان الأمر والنهي يتحققان بها في الجاهلية ، إفعل ولا تفعل ، كان الرجل منهم يضعها في وعاءٍ له ، فإذا أراد سفراً أو زواجاً أو أمراً مهماً أدخل يده فأخرج منها زلماً(أي قدحاً) ، فإن خرج الأمر مضى

(١) مفتـاح دار السعادة وأخـرج الحديث البخـاري في صحيحـه ٦١١/١٠ في كتاب الأدب .

لشأنه، وإن خرج النهي كفَّ عنه ولم يفعله[1] .

ومنهم من قال : مكتوب على الواحد : أمرني ربي ، وعلى الآخر نهاني ربي ، والثالث غُفْل ليس عليه شيء ، فإذا أجالها وَطلع سهم الأمر فعله ، أو النهي تركه ، وإن طلع الفارغ أعاد[2] .

ومعنى الاستقسام : هو طلب القسم من هذه الأزلام[3] .

ومعناه كذلك : هو طلب معرفة ما قسم له من الخير والشر[4] .

وقد نهى الله عز وجل عن ذلك كما قال تعالى : **﴿ حُرمتْ عليكم الميتةُ والدمُ ولحمُ الخِنزير وما أهل لغير الله به والمخنقةُ والموقوذةُ والمترديةُ والنطيحةُ وما أكلَ السبعَ إلا ما زكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ، ذلكم فسق ﴾** [المائدة : ٣] .

---

(١) النهاية ١/٣١١ .
(٢) ابن كثير ٢/٤٨٦ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) محاسن التأويل ٦/٤٠ .

وقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون** ﴾ [المائدة : ٩٠] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إن رسول الله ﷺ لما رأى الصور التي في البيت ومنها صورة لإبراهيم وإسماعيل يستقسمان في الأزلام قال : « قاتلهم الله أما والله قد علموا أنهما لم يستقسما بها قط » فدخل البيت ، فكبر في نواحيه ، ولم يصل فيه[1] .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لن يلج الدرجات العلى من تكهن ، أو استقسم ،أو رجع من سفر تطيراً »[2] .

وفي الحديث أن من تكهن أي تعاطى الكهانة ، وهي الإخبار عن الكائنات وادعاء معرفة الأسرار والأمور

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ٦/٣٨٧ ، وفي كتاب الحج ٣/٤٦٨ .

(٢) أخرجه الطبراني وقال الألباني : وقد وقفت على إسناده في (فوائد تمام) فتبين أن إسناده جيد ولذلك خرجته في الصحيحة (٢١٦١) وفي رواية : (لا ينال الدراجات العلى . . . الخ) وانظر غاية المرام ص ١٨٤ .

الغيبية ، أو (استقسم) بالأزلام أو رجع من سفر تطيراً أنه لن ينال الدرجات العلى ، ينال السيئات الكبرى والعقوبات العظمى .

ومن الاستقسام بالأزلام في هذا العصر ضرب الرمل والودع وفتح الكتاب والكوتشينة وقراءة الفنجان . وكل ما كان من هذا القبيل ، حرام منكر في الإسلام ، بل يدخل في أبواب الشرك بالله تعالى . انظر الحلال والحرام ص ٢٣٠ .

□ □ □

فضل ترك التطير والشؤم وأنه قد حقق التوحيد

قال الإمام مسلم : حدثنا سعيد بن منصور . حدثنا هيثم . أخبرنا حصين بن عبد الرحمن ؛ قال : كنت عند سعيد بن جبير قال : أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة(١) ؟ قلت : أنا . ثم قلت : أما إني لم أكن في صلاة لكني لدغت(٢) قال : فماذا صنعت ؟ قلت : استرقيت . قال : فما حملك على ذلك ؟ قلت : حديث حدثناه الشعبي . فقال : وما حدثكم الشعبي ؟ قلت : حدثنا بريدة بن حصيب الأسلمي ؛ أنه قال : لا رقية إلا من عين(٣) أو حُمَةٍ(٤) . فقال : قد أحسن من انتهى إلى ما سمع . ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « عرضت علي الأمم . فرأيت النبي ومعه الرهيط(٥)

---

(١) انقض هو بالقاف والضاد المعجمة . أي : سقط والبارحة هي أقرب ليلة ، وهي مشتقة من برح : إذا زال .

(٢) أي : لُدغة عقرب .

(٣) العين : هي إصابة العائن غيره بعينه .

(٤) والحمة سم العقرب وأشباهها .

(٥) هو الجماعة دون العشرة .

والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي ليس معه أحد . إذ رفع لي سواد عظيم . فظننت أنهم أمتي . هذا موسى ﷺ وقومه ولكن انظر إلى الأفق . فقيل لي : انظر إلى الأفق الآخر . فنظرت ، فإذا سواد عظيم . فقيل لي : هذه أمتك . ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حسابٍ ولا عذاب » .

ثم نهض فدخل منزله . فخاض[1] الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب .

فقال بعضهم : فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ . وقال بعضهم : فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله . وذكروا أشياء ، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال : « ما الذي تخوضون فيه ؟» فأخبروه . فقال : « هم الذين لا يرقون[2] ولا يسترقون ،

---

(١) أي : تكلموا وتناظروا .

(٢) قال شيخ الإسلام عند هذه الزيادة (ولا يرقون) : هذه الزيادة وهم من الراوي ، لم يقل النبي ﷺ : لا يرقون ، لأن الراقي محسن إلى أخيه . وضعف هذه الرواية كذلك تلميذ شيخ الإسلام ابن القيم . انظر تيسير العزيز الحميد ص ١٠٨ .

ولا يتطيرون ، ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون » . فقام عكاشة فقال : ادع الله أن يجعلني منهم . فقال : « أنت منهم » ، ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم . فقال: « سبقك بها عكاشة »[1].

ففي هذا الحديث وصف خاص للسبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة يوم القيامة بغير حساب ولا عذاب بتمام التوكل ، بأنهم لا يسألون غيرهم تلذذاً بالبلاء ولا يتطيرون ، أي : ولا يتشاءمون كالجاهليين القدامى وكثير من أتباعهم اليوم ، فمن فعل ذلك ، أي : تطير وتشاءم فقد ناقض التوكل على الله عز وجل . وفي الحديث فضيلة الصحابي الجليل عكاشة بن محصن رضي الله عنه وأنه قد حقق التوحيد الكامل بترك التطير والتشاؤم وأنه من المبشرين بالجنة وأنه يوم القيامة من الذين يدخلون الجنة بغير حسابٍ ولا عذاب[2] .

□ □ □

---

(١) أخرجه مسلم ١/ ١٩٩ .

((٢)راجع فتح الباري ١١/ ٤٠٥ وتيسير العزيز الحميد١١-١٣ .

ذم التَطَيُّرَ وبيان أنه من الشرك

الحـديث الأول : عن ابن مسعـود رضي الله عنـه قال : قال رسول الله ﷺ : « الطيرة شرك » قاله ثلاثاً، «وما منا إلا ؛ ولكن الله يذهبه بالتوكل »[1] .

قوله : « الطيرة شرك » أي : من الشرك لأن العرب كانوا يعتقدون أنَّ ما يتشاءمون به سبب يؤثر في حصول المكـروه وملاحـظة الأسبـاب في الجملة شـرك خفي ، فكيف إذا انضم إليها جهالـة فاحشـة وسوء إعتقـاد ومن اعتقد أن غير الله ينفع أو يضر استقلالاً فقد أشرك[2] .

فالمشركون كانوا يعتقدون أن الطيرة تجلب لهم نفعاً أو تدفع عنهم ضراً ، فإذا عملوا بموجبها فكأنهم أشركوا

---

(١) أخـرجـه البخـاري فـي «الأدب المفـرد» ١٣١ ، وأبـو داود(٢/١٥٨) ، والترمذي ١/٣٠٤ ، وابن مـاجه ٢/٣٦٢ ، والطحاوي في شـرح معاني الآثـار ٢/٣٨٠ ، وفي المشكل (٢/٣٠٤) ، وابن حبان (١٤٢٧) ، والحاكم ١/١٧ ، وأحمد ١/٣٨٩ ، ٤٣٨ ، ٤٤٠ وهو صحيح . كذا قال الألباني في السلسلة(٤٣٠) وغاية المرام ص ٣٠١ .

«(٢) فيض القدير ٤/٢٩٤ .

بالله في ذلك ويسمى شركاً خفياً[1] قولـه : (وما منـا) أي : أحد . (إلا) أي إلا من يخطر له من جهة الطيرة شيء لتعود النفوس عليها فحذف المستثنى كراهة أن يتفوه به .

قال التوربشتي : أي إلا من يعرض له الوهم من قبل الطيرة . وكره أن يتم كلامه ذلك لما يتضمنه من الحالة المكـروهـة وهـذا النـوع من أدب الكـلام يكتفي دون المكروه منه بالإشارة فلا يضرب لنفسه مثل السوء[2] .

قـوله : « ولكن الله يـذهبه بـالتوكـل » أي : بسبب الاعتماد عليه سبحانه والاستناد إليه والتوكل عليه ، يذهب ذلك عنّا ، وهذا من رحمة الله عـز وجل بنـا أنه جعـل التوكل عليه هو الأمر الوحيد لزوال التطير والطيرة والشؤم وغيرها من أمور الشرك ، وهناك أمور غير التوكل ولكن التوكل من أعظمها ، وسيأتي في العلاج من التطير .

الحـديث الثاني : عن عمـران بن حصين رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس منّا من تطيَّر ، ولا

---

(١) انظر المرقاة ٤/٥٢٢ .

(٢) المصدر السابق .

من تُطُيِّرَ له ، أو تَكَهَّنَ ، أو تُكُهِّنَ له ، أو سَحَرَ أو سُحِرَ له »[1] .

قوله : (ليس منَّا) أي : ليس من أهل سنتنا أو طريقتنا الإسلامية من يفعل ذلك .

قوله : (من تطيَّر) أي : فعل الطيرة (أو تطير له) أي : أمر أن يتطير له ، وكذلك معنى تكهن أو تكهن له أو سحر له[2] .

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : الفرق بين الطيرة والتطير ، أن التطير هو الظن السيء الذي في القلب ، والطيرة هو الفعل المرتب على الظن السيء[3] .

قال الإمام ابن القيم : فالطيرة باب من الشرك وإلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته يكبر ويعظم شأنها على من أتبعها نفسه واشتغل بها وأكثر العناية بها وتذهب وتضمحل عمن لم يلتفت إليها ولا ألقى إليها باله ولا شغل بها نفسه وفكره .

---

(١) إسناده حسن انظر غاية المرام ص ١٧٦ .
(٢) فيض القدير ٥/٤٨٣ ، وانظر تيسير العزيز الحميد ٤١١ .
(٣) عون المعبود ١٠/٤٠٦

واعلم أن من كان معتنياً بها قائلاً بها كانت إليه أسرع من السيل إلى منحدره ، وتفتحت له أبواب الوسواس فيما يسمعه ويراه ويعطاه ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة في اللفظ والمعنى ما يفسد عليه دينه وينكد عليه عيشه فإذا سمع بالسفرجل أو أهدي إليه تطير به. وقال: سفر وجلاء، وإذا رأى ياسميناً أو سمع اسمه تطير به وقال يأس ومين ، وإذا رأى سوسنة أو سمعها قال : سوء يبقى سنة ، وإذا خرج من داره فاستقبله أعور أو أشل أو أعمى أو صاحب آفة تطير به وتشاءم بيومه[١] .

وحال من تطير وتشاءم كحال من غبته الوساوس في الطهارة فلا يلتفت إلى علم ولا إلى ناصح وهذه حال من تقطعت به أسباب التوكل وتقلص عنه لباسه بل تعدى منه ، ومن كان هكذا فالبلايا إليه أسرع والمصائب به أعلق والمحن له ألزم بمنزلة صاحب الدمل والقرحة الذي يهدي إلى قرحته كل مؤذ وكل مصادم فلا يكاد يصدم من جسده أو يصار غيرها ، والمتطير متعب القلب منكر الصدر كاسف البال سيء الخلق يتخيل من كل ما يراه أو

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢ / ٢٣٠ .

يسمعه أشد الناس خوفاً وأنكدهم عيشاً وأضيق الناس صدراً وأحزنهم قلباً ، كثير الإحتراز والمراعاة لما لا يضره ولا ينفعه وكم قد حرم نفسه بذلك من حظ ومنعها من رزق وقطع عليها من فائدة[1] .

□ □ □

(١) مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٣١ .

نفي الطيرة والشؤم

جاءت أحاديث كثيرة تنفي حقيقة الطيرة وتقول لا طيرة كما جاء في الحديث الآتي :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لا عدوى ولا طيرة وأحب الفأل الصالح»(١) .

وهذا يحتمل أن يكون نفياً أو يكون نهياً ، أي : لا تتطيروا ، ولكن قوله في الحديث : «ولا عدوى ولا صفر ولا هامة» يدل على أن المراد النفي وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيها .

والنفي في هذا أبلغ من النهي ، لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره ، والنهي إنما يدل على المنع منه .

وفي « صحيح مسلم » عن معاوية بن الحكم السلمي أنه قال لرسول الله ﷺ : ومنا أناس يتطيرون ، فقال : «ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدكم»(٢) .

---

(١) أخرجه مسلم ٤/١٧٤٦ .
(٢) أخرجه مسلم ٤/١٧٤٩ .

فأخبر أن تأذيه وتشاؤمه بالتطير إنما هو في نفسه وعقيدته لا في المتطير به . فوهمه وخوفه وإشراكه هو الذي يطيره ويصده لا ما رآه وسمعه .

فأوضح ﷺ الأمر وبين لهم فساد الطيرة ليعلموا أن الله سبحانه لم يجعل لهم عليها علامة ، ولا فيها دلالة ، ولا نصبها سبباً لما يخافونه ويحذرونه ، لتطمئن قلوبهم ، وتسكن نفوسهم إلى وحدانيته تعالى التي أرسل بها رسله ونزل بها كتبه ، وخلق لأجلها السموات والأرض ، وعمر الدارين الجنة والنار بسبب التوحيد فقطع ﷺ علق الشرك من قلوبهم ، لئلا يبقى فيها علق منها ولا يتلبسوا بعمل من أعمال أهل النار البتة[١] .

فمن استمسك بعروة التوحيد الوثقى واعتصم بحبله المتين ، وتوكل على الله ، وقطع هاجس الطيرة من قبل استقرارها ، وبادر خواطرها من قبل استمساكها[٢] أفلح وسعد في الدارين .

وفي الحديث الصحيح : «أقروا الطير على

(١) مفتاح دار السعادة ٢ / ٢٣٤ .
(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٤٢٧ .

مَكِنَّاتِهَا(١) .

قوله : (أقروا) تقول العرب : قَرَّ في مكانه يَقِرُّ قراراً إذا ثبت ثُبُوتاً جامداً ، وأصله مِنَ القُرِّ وهو البَرْدُ وهو يقتضي السكون ، والحرُّ يقتضي الحركة(٢) .

ومعنى الحديث : أراد النبي ﷺ منهم أن لا يلتفتوا إليها بل يقروها على مواضعها التي جعلها الله لها ولا يتعدوا ذلك إلى غيره ، أي أنها لا تضر ولا تنفع .

أو أقروها على أمكنتها ولا تزجروها لأنهم كانوا في الجاهلية إذا أراد أحدهم سفراً أو أمراً من الأمور أثار الطير من أوكارها(٣) لينظر أي وجه تسلك وإلى أي ناحية تطير ، فإن خرجت ذات اليمين خرج لسفره ومضى لأمره ، وإن أخذت ذات الشمال رجع ولم يمضِ فأمرهم أن يقروها بأمكنتها وأبطل فعلهم ذلك ونهاهم عنه كما أبطل

---

(١) أخرجه أبو داود ٣/٢٥٧ رقم (٢٨٣٥) ، والحاكم ٤/٢٣٧ وصححه الألباني في صحيح الجامع ١١٨٨ ، وفي الإرواء ١١٦٦ ج ٤، ص ٣٩١ .
(٢) غريب القرآن للراغب ص ٣٩٧ .
(٣) أماكنها .

الاستقسام بالأزلام.

وقال ابن جرير : معنى ذلك أقروا الطير التي تزجرونها في مواضعها المتمكنة فيها التي هي لها مستقر وامضوا لأموركم فإن زجركم إياها غير مجد عليكم نفعاً ولا دافع عنكم ضرراً[1] .

وقال المناوي : (أقروا الطير على مكنَّاتِها) بفتح الميم وكسر الكاف وشد النون أو تخفف جمع مكنة أي : أقروها في أوكارها ، فلا تنفروها عن بيضها ولا تزعجوها عنه ولا تتعرضوا لها ، فالمراد : أماكنها، من قولهم : الناس على مكاناتهم أي منازلهم ومقاساتهم ، أو جمع مكنة بضم الميم والكاف ، بمعنى التمكن : أي أقروها على كل مكنة ترونها عليها ودعوا التطير بها[2] .

وقال عكرمة رحمه الله : « كنا جلوساً عند ابن عباس فمر طائر يصيح فقال رجل من القوم خير خير ، فقال له ابن عباس : لا خير ولا شر » .

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢/٢٣٥ .
(٢) فيض القدير ٢/٧٠ .

فبادره بالإنكار عليه لئلا يعتقد له تأثيراً في الخير أو الشر .

وخرج طاووس رحمه الله مع صاحب له في سفر فصاح غراب ، فقال الرجل : خير .

فقال طاووس : وأي خير عنده والله لا تصحبني .

وقال ابن عبد الحكم لما خرج عمر بن عبدالعزيز من المدينة ، فقال مزاحم : فنظرت فإذا قمر في الدبران فكرهت أن أقول له فقلت : ألا تنظر إلى القمر ما أحسن استواءَه في هذه الليلة . قال : فنظر عمر فإذا هو في الدبران فقال : كأنك أردت أن تعلمني أن القمر في الدبران يا مزاحم إنا لا نخرج بشمس ولا بقمر ولكنا نخرج بالله الواحد القهار[١] .

□ □ □

(١) مفتاح دار السعادة ٢ / ٢٣٥ .

بعض الشبهات والرد عليها

وقد يتوهم بعض الناس جواز الطيرة والشؤم ويستدلون بهذه الأحاديث :

الحديث الأول : وهو قوله ﷺ : « إن كان ، ففي المرأة والفرس والمسكن » يعني الشؤم .

وفي رواية : «إن كان في شيء ، ففي الرَّبْع والخادم والفرس »[1]

وفي رواية : «إن يكن من الشؤم شيءٌ حقٌ ، ففي الفرس والمرأة والدار »[2] .

وفي رواية البخاري : «لا عدوى ولا طيرة ، والشؤم في ثلاث : المرأة والفرس المسكن»[3] .

وفي رواية أخرى : (إن كان في شيْ ففي المرأة

---

(١) مسلم (١٧٤٨/٤) .

(٢) المصدر السابق ومعنى الربع : المنزل والدار بعينها . انظر اللسان ١١٠/١ .

(٣) البخاري (٢١٢/١٠) ، ومسلم (١٧٤٦/٤) .

والفرس والسكن(١).

وهذه الأحاديث كلها صحيحة ثابتة غير معلولة وهي

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٤٨/٤) وزاد ابن ماجه (٦٤٢/١) على (الفرس والسكن والمرأة) (السيف) وكما زاد مسلم أيضاً في رواية له (الخادم) (١٧٤٨/٤).

قال الحافظ في الفتح(٦٣/٦) اتفقت الطرق كلها على الاقتصار على الثلاثة المذكورة ، ووقع عند ابن اسحق في رواية عبد الرزاق المذكورة : قال معمر قالت أم سلمة«والسيف» ، قال أبو عمر : رواه جويرية عن مالك عن الزهري عن بعض أهل أم سلمة عن أم سلمة .(انظر التمهيد ٢٧٨/٩) .

قلت : أخرجه الدارقطني في غرائب مالك إسناده صحيح إلى الزهري ولم ينفرد به جويرية به بل تابعه سعيد بن داود عن مالك أخرجه الدارقطني أيضاً . قال : والمبهم المذكور هو أبو عبيدة بن عبدالله بن زمعة ، سماه عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهري في روايته ، قلت : أخرجه ابن ماجة من هذا الوجه موصولاً فقال«عن الزهري عن أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة عن زينب بنت أم سلمة عن أم سلمة أنها حدثت بهذه الثلاثة وزادت فيهن «والسيف»(ابن ماجه ٦٤٢/١) .

وقد روى النسائي حديث الباب من طريق ابن أبي ذئب عن الزهري . فأدرج فيه السيف وخالف فيه في الإسناد ايضاً قلت : ولم يذكر الحافظ في هذا الموضوع الخادم .

في الصحيحين وهما أصح الكتب بعد كتاب الله عز وجل .

والرد على من استدل بهذه الإحاديث على جواز الطيرة والشؤم من وجوه :

الوجه الأول : أن من العلماء من أخذ الحديث على ظاهره وأن الشؤم في هذه الأشياء ، كما قال ابن قتيبة : ووجهه أن أهل الجاهلية كانوا يتطيرون ، فنهاهم النبي ﷺ وأعلمهم أن لا طيرة ، فلما أبوا أن ينتهوا بقيت الطيرة في هذه الأشياء الثلاثة . ورد عليه الحافظ ابن حجر بقوله : فمشى ابن قتيبة على ظاهره ، ويلزم على قوله : إن من تشاءم بشيء منها نزل به ما يكره .

قلت : وهذا قول فاسد لأنه من اعتقاد المشركين الجاهلين فهو قول ساقط ومردود . قول ساقط ومردود والمقصود قول (ابن قتيبة) .

الوجه الثاني : قال القرطبي : ولا يظن به أن يحمله على ما كانت الجاهلية تعتقده بناء على أن ذلك يضر وينفع بذاته ، فإن ذلك خطأ ، وإنما عنى أن هذه الأشياء هي أكثر ما يتطير به الناس ، فمن وقع في نفسه شيء

أبيح له أن يتركه ويستبدل به غيره .

وهذا الكلام مطابق للحديث الآتي في باب العلاج من الطيرة وهو قوله ﷺ : « ذروها ذميمة » .

الوجه الثالث : أن معنى الحديث : إن كان خلق الله الشؤم في شيء مما جرى من بعض العادة ، فإنما يخلقه في هذه الأشياء .

وقال المازري : مجمل هذه الرواية : إن يكن الشؤم حقاً فهذه الثلاث أحق به ، بمعنى أن النفوس يقع فيها التشاؤم بهذه أكثر مما يقع بغيرها[1] .

الوجه الرابع : وقع في رواية البخاري في النكاح : ذكروا الشؤم : فقال : « إن كان في شيء ففي . . » ، ولمسلم : « إن كان الشؤم في شيء . . » وكذا في حديث جابر عند مسلم ، وهو موافق لحديث سهل بن سعد ثاني حديثي الباب ، وهو يقتضي عدم الجزم بذلك بخلاف رواية الزهري يعني أول حديثي الباب ـ عن ابن عمر[2] .

---

(١) انظر فتح الباري ٦/٦٠-٦٣ .
((٢)المصدر السابق .

الوجه الخامس : سئل الإمام مالك رحمه الله عن ذلك . فقال : كم من دار سكنها ناس فهلكوا .

قال المازري شارحاً لكلام الإمام مالك : فحمله على ظاهره والمعنى أن قدر الله ربما اتفق ما يكره عند سكنى الدار ، فتصير في ذلك كالسبب ، فتسامح في إضافة الشيء إليه اتساعاً .

قال ابن العربي المالكي معقباً على هذا الكلام : لم يرد مالك إضافة الشؤم إلى الدار ، وإنما هو عبارة عن مجرى العادة فيها ، فأشار إلى أنه ينبغي للمرء الخروج عنها صيانة لاعتقاده عن التعلق بالباطل .

ومعنى الحديث : أن هذه الأشياء يطول تعذيب القلب بها مع كراهة أمرها ، لملازمتها بالسكن والصحبية ، ولو لم يعتقد الإنسان الشؤم فيها ، فأشار الحديث إلى الأمر بفراقها ليزول التعذيب .

وقال الحافظ ابن حجر مؤيداً قول ابن العربي المالكي مخالفاً لقول المازري : وما أشار إليه ابن العربي في تأويل كلام مالك أولى ، وهو نظير الأمر بالفرار من المجذوم مع صحة نفي العدوى ، والمراد بذلك حسم

المادة وسد الذريعة لئلا يوافق شيء من ذلك القدر ، فيعتقد من وقع له ، أن ذلك من العدوى أو من الطيرة ، فيقع في اعتقاد ما نهي عن اعتقاده ، فأشير إلى اجتناب مثل ذلك .

والطريق فيمن وقع له في الدار مثلاً ، أن يبادر إلى التحول منها ، لأنه متى استمر فيها ربما حملها ذلك على اعتقاد صحة الطيرة والتشاؤم[1] .

قلت : وسيأتي الكلام على هذا الحديث الذي أخرجه أبو داود وصححه الحاكم وغيره في معنى هذا الكلام الأخير وهو الإنتقال من دار إلى دار لئلا يظن أنه مشؤوم وهو قوله ﷺ : «ذروها ذميمة» .

وقال العلامة أحمد شاكر : الشؤم في هذه الأشياء : أنه لا يتأتى الرجل في اختيارها ، والتفتيش عن دين المرأة وأخلاقها، وعن أصالة الفرس وجودنها، وعن أسس الدار ومتانة بنائها ، ولا يتفحص عن ذلك ، ولا يسأل أهل الخبرة الصادقين الناصحين ، بل يغتر بظاهر جمالها ، وحسن منظرها . ثم يتبين له بعد ذلك سوءها ، وما فيها

---

(١) المصدر السابق .

من شــر . ويصعب عليـه التخلص منهــا فيبقيهـا على مضض ، مُوهماً نفسه أنه يمكنه الإنتفاع بها ، مع أنه لا يحاول إصلاحها ، أو تكون هي غيـر قابلة للإصـلاح ، فيكون ذلك شقاء عليه ، ولو أنه تخلص منها لكان خيراً له[1] .

وقـال الخـطابي في معنى الحـديث : هـو إبــطال مذهبهم في الطيرة بالسوانح والبوارح من الطير والظبـاء ونحوها ، إلا أنـه يقول : إن كـانت لأحدكم دار يكـره سكناها ، أو امـرأة يكره صحبتهـا ، أو فرس لا يعجبـه ارتباطه فليفارقها ، بأن ينتقل عن الدار ويبيع الفرس .

وكان محل هذا الكلام محل استثناء الشيء من غير جنسه، وسبيله سبيل الخروج من كلام إلى غيره[2] .

وكأن النبي ﷺ يقول لهم : إن كان لأحدكم دارٌ يكره سكْنَاها ، أو امـرأة يكره صحبتهـا ، أو فرس لا يعجبـه فليفارقها بـأن ينتقل عن الـدار ، ويطلق المـرأة ، ويبيع الفرس ويبيع الخادم حتى يزول عنه ما يجد في نفسه من

---

(١) مختصر سنن أبي داود ٥/ ٣٨٠ .

(٢) المصدر السابق ٥/٣٨١ .

الكراهية ، وهذا الإمر بالتحول والانتقال عن الشيء المكروه ، إلى غيره إنما ليزول عنهم ما يجدون من الكراهية ، لا أنها سببت في ذلك[1] .

وقيل : يحمل الشؤم على قلة الموافقة وسوء الطباع ، وهو كحديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « ثلاث من السعادة وثلاث من الشقاوة ، فمن السعادة : المرأة تراها تعجبك ، وتغيب فتأمنها على نفسها ومالك ، والدابة تكون وطيئة فتلحقك بأصحابك ، والدار تكون واسعة كثيرة المرافق . ومن الشقاوة المرأة تراها فتسوؤك ، وتحمل لسانها عليك ، وإن غبت عنها لم تأمنها على نفسها ومالك ، والدابة تكون قطوفاً ، فإن ضربتها أتعبتك ، وإن تركتها لم تلحقك بأصحابك ، والدار تكون ضيقة قليلة المرافق »[2] .

---

(١) شرح السنة ١٢/١٧٨ .

(٢) أخرجه الحاكم(٢/١٦٢) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٦/٢٣٢/١) وإسناده حسن كذا في السلسلة (٣/٣٨) وقوله : (والدابة تكون قطوفاً) والقطاف : تقارب السرعة . النهاية ٤/٨٤ .

الوجه السادس : إخباره ﷺ بالشؤم في هذه الثلاثة ، ليس فيه إثبات الطيرة التي نفاها الله وإنما غايته أن الله سبحانه قد يخلق أعياناً منها مشؤومة على قاربها وسكنها ، وأعياناً مباركة لا يلحق من قاربها منها شؤم ولا شر ، وهذا كما يعطي سبحانه الوالدين ولداً مباركاً يريان الخير على وجهه ، ويعطي غيرهما ولداً مشؤوماً يريان الشر على وجهه ، وكذلك ما يعطاه العبد من ولاية أو غيرها . فكذلك الدار والمرأة والفرس . والله سبحانه خالق الخير والشر والسعود والنحوس فيخلق بعض هذه الأعيان سعوداً مباركة ، ويقضي بسعادة من قاربها وحصول اليمن والبركة له ، ويخلق بعضها نحوساً يتنحس بها من قاربها ، وكل ذلك بقضائه وقدره كما خلق سائر الأسباب وربطها بمسبباتها المتضادة والمختلفة ، كما خلق المسك وغيره من الأرواح الطيبة ، ولذذ بها من قاربها من الناس ، وخلق ضدها وجعلها سبباً لألم من قاربها من الناس ، والفرق بين هذين النوعين مدرك بالحس فكذلك في الديار والنساء والخيل فهذا لون والطيرة الشركية لون(١) .

---

(١) ذكره ابن القيم . تيسير العزيز الحميد ص٤٣٠ .

قال الشيخ محمد ناصر الدين الإلباني :

والحديث يعطي مفهومه أن لا شؤم في شيء ، لأن معناه ، لو كان الشؤم ثابتاً في شيء ما ، لكان في هذه الثلاثة ، لكنه ليس ثابتاً في شيء أصلاً . وعليه فما في بعض الروايات بلفظ : « الشؤم في ثلاثة » ، أو : « إنما الشؤم في ثلاثة » فهو اختصار ، وتصرف من بعض الرواة . والله أعلم»[1]

الوجه السابع : أن الأحاديث التي تثبت الطيرة والشؤم في المرأة والمسكن والفرس وغيرها عارضتها أحاديث تنفي ذلك ومن أصحها حديث عائشة رضي الله عنها . فعن قتادة عن أبي حسان قال : «دخل رجلان من بني عامر على عائشة، فأخبراها أن أبا هريرة يحدث عن النبي ﷺ أنه قال : (الطيرة من الدار والمرأة والفرس) فغضبت ، فطارت شقة منها في السماء ، وشقة في الأرض ، وقالت : والذي أنزل الفرقان على محمد ما قالها رسول الله قط ، إنما قال : كان أهل الجاهلية يتطيرون من ذلك .

---

(١) السلسلة ١/٤٤٣ .

وفي رواية أخرى : « ولكن نبي الله ﷺ كان يقول : كان أهل الجاهلية يقولون : الطيرة في المرأة والدار والدابة ، ثم قرأت عائشة : ﴿من قَبْلِ أن نَّبْرَأَها إنَّ ذَلِكَ عَلى الله يَسِيرٌ﴾ [الحديد : ٢٢][(١)]

ويشهد له ما أخرجه الطيالسي في «مسنده» (١٥٣٧) : حدثنا محمد بن راشد عن مكحول قيل لعائشة : إن أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « الشؤم في ثلاث : في الدار والمرأة والفرس . فقالت عائشة : لم يحفظ أبو هريرة ؛ لأنه دخل ورسول الله ﷺ يقول : قاتل الله اليهود يقولون : إن الشؤم في الدار والمرأة والفرس ، فسمع آخر الحديث ، ولم يسمع أوله» .

قال الألباني : وإسناده حسن لولا الانقطاع بين مكحول وعائشة ، لكن لا بأس به في المتابعات والشواهد ، إن كان الرجل الساقط من بينها هو شخص

---

(١) أخرجه أحمد (٦/١٥٠ ، ٢٤٠ ، ٢٤٧) ، والطحاوي في مشكل الآثار (١/٣٤١) عن قتادة عن أبي حسان . وإسناده صحيح على شرط مسلم الألباني في السلسلة رقم ٩٩٣ .

ثالث غير العامرين المتقدمين .

هذا ولعل الخطأ الذي أنكرته السيدة عائشة هو من الراوي عن أبي هريرة ، وليس أبا هريرة نفسه ، فقد روى أحمد (٢ / ٢٨٩) من طريق أبي معشر عن محمد بن قيس قال :

سئل أبو هريرة : سمعت من رسول الله ﷺ : الطيرة في ثلاث في المسكن والفرس والمرأة؟ قال : كنت إذن أقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أصدق الطيرة الفأل ، والعين حق » .

وأبو معشر فيه ضعف . وقد وجدت لحديث الترجمة شاهداً من حديث ابن عمر مرفوعاً بلفظ : « الطيرة في المسكن والدار والفرس » .

أخرجه الطحاوي في «شرح المعاني» (٢ / ٣٨١) والطبراني في «المعجم الكبير» (٣/٢٩٣/٢) من طرق ، عن محمد بن جعفر عن عتبة بن مسلم عن حمزة بن عبدالله بن عمر عن أبيه .

وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم ، لكنه شاذ بهذا

الاختصار ، فقد خالفه سليمان بن بلال : حدثني عتبة بن مسلم بلفظ : «إن كان الشؤم في شيء ففي الفرس . . » الحديث أخرجه مسلم (٧/ ٣٤) والطحاوي .

قلت : (أي : الألباني) : وزاد في أوله : « إن كان الشؤم في شيء » .

وهي زيادة من ثقة فيجب قبولها ، لا سيما وقد جاءت من طرق أخرى عن ابن عمر عند البخاري ، ولها شواهد كثيرة منها عن سهل بن سعد وجابر ، وقد خرجتها فيما تقدم (٧٩٩) .

ومنها عن سعد بن أبي وقاص مرفوعاً بلفظ : « لا طيرة ، وإن كانت الطيرة في شيء ففي المرأة . . . » .

أخرجه الطحاوي من طريق يحيى بن أبي كثير عن الحضرمي بن لاحق أن سعيد بن المسيب حدثه قال : « سألت سعداً عن الطيرة؟ فانتهرني» ، زاد في رواية : فقال : « من حدثك؟ فكرهت أن أحدثه » ، وقال : سمعت رسول الله ﷺ فذكره .

وإسناده جيد فقد ذكر له شاهداً من رواية

ابن أبي ليلى عن عطية عن أبي سعيد به . وآخر من حديث أنيس وسنده حسن .

ونحوه حديث صخر أو حكيم بن معاوية مرفوعاً بلفظ : « لا شؤم ، وقد يكون اليمن في ثلاثة : في المرأة والفرس والدار » وهو صحيح الإسناد[1] وهو صريح في نفي الشؤم وإثبات اليمن. وهو شاهد قوي للأحاديث التي جاءت بلفظ : « إن كان الشؤم في شيء . . . » ونحوه خلافاً للفظ الآخر : « الشؤم في ثلاث . . . » فهو بهذا اللفظ شاذ مرجوح[2].

وجملة القول : إن الحديث اختلف الرواة في لفظه ، فمنهم من رواه كما في الترجمة ، ومنهم من زاد عليه في أوله ما يدل على أنه لا طيرة أو لا شؤم (وهما بمعنى واحد كما قال العلماء) وعليه الأكثرون ، فروايتهم هي الراجحة ، لأن معهم زيادة علم ، فيجب قبولها ، وقد تأكد ذلك بحديث عائشة الذي فيه أن أهل الجاهلية هم الذين كانوا يقولون ذلك .

---

(١) انظر السلسلة ٤/٥٦٤ .
(٢) المصدر السابق ٤/٥٦٥ .

وقد قال الزركشي في « الإجابة » (ص: ١٢٨) .

قال بعض الأئمة : ورواية عائشة في هذا أشبه بالصواب إن شاء الله تعالى (يعني من حديث أبي هريرة) لموافقتها نهيه عليه الصلاة والسلام عن الطيرة نهياً عاماً ، وكراهتها وترغيبه في تركها بقوله : « يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ، وهم الذين لا يكتوون (الأصل لا يكنزون) ولا يسترقون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » .

قلت : (أي الألباني) وقد أشار بقوله : « بعض الأئمة » إلى الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى . فقد ذهب إلى ترجيح حديث عائشة في « مشكل الآثار» ونحوه في « شرح المعاني » وبه ختم بحثه في هذا الموضوع ، وقال في حديث سعد وما في معناه :

(ففي هذا الحديث ما يدل على غير ما دل عليه من الحديث، يعني حديث ابن عمر برواية عتبة بن مسلم وما في معناه عن ابن عمر)، وذلك أن سعداً انتهر سعيداً حين ذكر له الطيرة، وأخبره عن النبي ﷺ أنه قال: لا طيرة، ثم قال : إن تكن الطيرة في شيء ففي المرأة والفرس

والدار ، فلم يخبر أنها فيهن ، وإنما قال : إن تكن في شيء ففيهن ، أي لو كانت تكون في شيء لكانت في هؤلاء ، فإذا لم تكن في هؤلاء الثلاث فليست في شيء[1] أفاده الألباني حفظه الله . وهذا الوجه هو الراجح إن شاء الله عز وجل من احتمال الأوجه الأخرى الصحيحة ولكن إنكار السيدة عائشة رضي الله عنها ، والصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص لمن أثبت الطيرة والشؤم ولا سيما حديث : « لا شؤم : وقد يكون اليمن في ثلاثة في المرأة والفرس والدار » هو الذي تطمئن إليه النفوس وتميل إليه وتعمل به إن شاء الله تعالى .

الحديث الثاني : ومن الأحاديث التي قد يستدلون فيها على جواز التطير والطيرة والشؤم وأحاديث إثبات الفأل .

فهناك أحاديث كثيرة تثبت الفأل وترغب فيه وهي :

١ ـ قوله ﷺ : « لا عدوى ولا طيرة ، ويعجبني الفأل الصالح ؛ الكلمة الحسنة »[2] .

---

(١) راجع السلسلة ٢ / ٧٢٤ رقم الحديث٩٩٣ .

(٢) أخرجه البخاري ١٠/١٧٥ ، ومسلم ٤/١٧٤٦ .

٢ ـ وفي روايـة : « لا عـدوى ولا طيـرة وأحب الفـأل الصالح »[١] .

٣ ـ وفي رواية : « كان يتفاءل ولا يتطير ؛ ويعجبه الاسم الحسن »[٢] .

٤ ـ وفي روايـة : « لا طيـرة وخيـرهـا الفـأل ، قيـل : يا رسول الله ! وما الفأل؟ قـال : « الكلمة الصـالحة يسمعها أحدكم »[٣] .

٥ ـ وفـي روايـة : « قـيـل : ومـا الـفـأل؟ قـال رسول الله ﷺ : إذا أبردتم[٤] إليَّ بريداً فابعثوا حسن الوجه ، حسن الاسم»[٥] .

فهـذه الأحاديث قـد يُستدل بهـا على إثبات التـطير

---

(١) المصدر السابق .

(٢) أخرجه أحمد (١/٢٥٨ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣١٩) ، والطيالسي (٢٦٩٠) وأخـرجـه الضيـاء المقـدسي في(المختـارة) (٦٥/٦٥/١) من طـريق آخر وهـو صحيح لغيـره كـذا في السلسلة برقم(٧٧٧) .

(٣) مسلم (١٧٤٥) .

(٤) أبردتم : بعثتم .

(٥) أخرجه البزار في مسنده(ص ٣٢ ـ زوائده) وهو صحيح لطرقه . كذا في السلسلة برقم (١١٨٦) .

والطيرة والتشاؤم ، والـرد على من استدل بها بما يلي :
أن أكثر هذه الأحاديث قد قرنت بنفي وإبطال الطيرة ، كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قـال رسـول الله ﷺ : لا طيـرة ، وخيـرهـا الفـأل ، قـالــوا : وما الفأل يا رسول الله؟ قال : الكلمة الصـالحة يسمعهـا أحـدكم »[1] فابتـدأهم النبي ﷺ بإزالـة الشبهـة وإبـطال الطيرة لئلا يتوهموها عليه في إعجابه بالفـأل الصالـح ، وليس في الإعجاب بالفأل ومحبته شيء من الشرك ، بل ذلك إبانة عن مقتضى الطبيعة وموجب الإنسانية التي تميل إلى ما يلائمها ويوافقها مما ينفعها كما أنه حبب إليه من الدنيا والنساء والطيب كما جاء في الحديث الصحيح : « حبب إليَّ من دنياكم : النساء والـطيب ، وجعلت قرة عيني في الصلاة »[2] .

وكان ﷺ « أحب الألوان إليه الخضرة »[3] .

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد (٣/١٩٩ ـ ١٢٨ ـ ٢٨٥) ، والحاكم ٢/١٦٠ ، وصححه الألباني في المشكاة (٥٢٦١) .

(٣) الطبراني في الأوسط وابن السني وأبو نعيم والبزار وهو صحيح قاله الألباني وقد خرجه في الصحيحة برقم(٢٠٥٣) .

وكان يعجبه الشراب الحلو البارد كما قالت عائشة رضي الله عنها : « كان أحب الشراب إليه الحلو البارد »[1] .

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان يحب الحلواء والعسل »[2] .

وكان يحب حسن الصوت ويأمر بتزيين الصوت بالقرآن كما قال ﷺ : « زينوا القرآن بأصواتكم ؛ فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً »[3] .

وكان يحب الاستماع إلى القرآن والآذان ويحب معالي الأخلاق ومكارم الشيم كما قال ﷺ :« إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق »[4] وبشكل عام فإن الرسول ﷺ

---

(١) أحمد (٦/٣٨ ، ٤٠) ، والحاكم (٤/١٣٧) ، والترمذي (١٨٩٦) ، وصححه الألباني في المشكاة (٤٢١٢) .

(٢) أخرجه البخاري ٩/٥٥٧ .

(٣) أخرجه تمام في الفوائد (٢/١٥٩) ، والحاكم (١/٥٧٥) ، قاله الألباني وإسناده جيد على شرط مسلم . كذا في السلسلة برقم ٧٧١ .

(٤) رواه البخاري في الأدب (٢٧٣) ، وابن سعد في الطبقات (١/١٩٢) والحاكم (٢/٦١٣) ، وأحمد (٢/٣١٨) =

كان يحب كل كمال وخير وما يفضي إليهما، والله سبحانه قد جعل في غرائز الناس الإعجاب بسماع الاسم الحسن ومحبته وميل نفوسهم إليه، وكذلك جعل فيها الارتياح والاستبشار والسرور باسم السلام والفلاح والنجاح والتهنئة والبشرى والفوز والظفر والغنم والربح والطيب ونيل الأمنية والفرح والغوث والعز والغنى وأمثالها.

فإذا قرعت هذه الأسماء الأسماع استبشرت بها النفس وانشرح الصدر وقوي بها القلب، وإذا سمعت أضدادها أوجب لها ضد هذه الحال فأحزنها ذلك وأثار لها خوفاً وطيرة وانكماشاً وانقباضاً عما قصدت له وغرمت عليه فأورث لها ذلك ضرراً في الدنيا ونقصاً في الإيمان ومقارفة للشرك، كما قال رسول الله ﷺ: «من ردته الطيرة، فقد قارف الشرك، قالوا: وما كفارة ذلك يا رسول الله؟ قال: يقول أحدهم: «اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله إلا غيرك»[1].

= وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦/٢٦٧/١) وإسناده حسن كذا في السلسلة برقم (٤٥).

(١) رواه ابن وهب في الجامع (ص ١١٠) وابن السني في عمل اليوم والليلة (٢٨٧)، وأحمد (٢/٢٢٠) وإسناده حسن أفاده =

فعلى هذا أن قوله ﷺ : «لا طيرة وخيرها الفأل» ينفي عن الفأل مذهب الطيرة من تأثير أو فعل أو شركة ويخلص الفأل منها ، وهناك فرقان بين الطير والفأل ، وهي أن التطير هو التشاؤم من الشيء المرئي أو المسموع فإذا استعملها الإنسان فرجع من سفره وامتنع بها مما عزم عليه فقد قرع باب الشرك ، بل ولجه وبَرِىء من التوكل على الله وفتح على نفسه باب الخوف والتعلق بغير الله ، والتطير مما يراه أو يسمعه وذلك قاطع له عن مقام ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ ، ﴿ **فاعبده وتوكل عليه** ﴾ ،﴿ **عليه توكلت وإليه أنيب** ﴾ فيصير قلبه متعلقاً بغير الله عبادة وتوكلاً فيفسد عليه قلبه وإيمانه وحاله ويبقى هدفاً لسهام الطيرة ويساق إليها من كل حدب ويقيض له الشيطان من ذلك ما يفسد عليه دينه ودنياه وكم هلك بذلك وخسر الدنيا والآخرة ، فأين هذا من الفأل الصالح السار للقلوب المؤيد للآمال الفاتح باب الرجاء المسكن للخوف الرابط للجأش الباعث على الاستعانة بالله والتوكل عليه والاستبشار المقوي لأمله السار لنفسه فهذا ضد الطيرة .

= الألباني في السلسلة برقم ١٠٦٥ .

فالفأل يفضي بصاحبه إلى الطاعة والتوحيد ، والطير تفضي بصاحبها إلى المعصية والشرك فلهذا استحب النبي ﷺ الفأل وأبطل الطيرة .ولا التقاء بين الفأل والطيرة ، فالفأل طاعة وخير والطيرة معصية وشرك[١] .

الحديث الثالث: وهو حديث اللقحة بكسر اللام وتفتح وهي الناقة ذات اللبن .

وهذا الحديث قد يُستدل به على إثبات الشؤم ولكن الحق أَنْ .لا وجه للاستدلال به على ذلك:

فعن يحيى بن سعيد ؛ أن رسول الله ﷺ قال للقحة تحلب : « من يحلب هذه؟» ، فقام رجل . فقال له رسول الله ﷺ : «ما اسمك؟» ، فقال له الرجل : مُرَّةُ . فقال له رسول الله ﷺ : « اجلس » ثم قال : « من يحلب هذه » ، فقام رجل . فقال له رسول الله ﷺ : « ما اسمك »؟ فقال : حَرْبٌ . فقال له رسول الله ﷺ : « اجلس » ، ثم قال : « من يحلب هذه »؟ فقام رجل . فقال له رسول الله ﷺ : « ما اسمك »؟ فقال :

(١) مفتاح دار السعادة ٢٤٢ بتصرف .

« يعيش » ، فقال له رسول الله ﷺ : « احلب »[1] .

قال ابن القيم : وأما حديث اللقحة ومنع النبي ﷺ حرباً ومرة من حلبها وإذنه ليعيش في حلبها فليس هذا بحمد الله في شيء من الطيرة لأنه محال أن ينهى عن شيء ويبطله ثم يتعاطاه وقد أعاذه الله سبحانه من ذلك.

وقال ابن عبد البر : ليس هذا عندي من باب الطيرة لأنه محال أن ينهى عن شيء ويفعله وإنما هو من طلب الفأل الحسن وقد كان أخبرهم عن أقبح الأسماء أنه حرب ومرة فأكد ذلك حتى لا يتسمى بها أحد[2].

قلت : ونص الحديث : « تسموا بأسماء الأنبياء وأحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن ، وأصدقها حارث وهمام وأقبحها مرة وحرب »[3] .

---

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد مفصلاً ، ورواه الطبراني في الكبير (٢٢/ ٢٢٧) ، والحربي في إكرام الضيف (٦٥) وإسناده حسن أفاده صاحب كتاب النهج السديد ص ١٥٩ .

(٢) مفتاح دار السعادة٢ / ٢٤٧ .

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٣٤٥) ، وأبو داود (٤٩٥٠) ، والنسائي =

وفي رواية : «خير الأسماء عبد الله وعبد الرحمن ،وأصدق الأسماء همام وحارث وشر الأسماء حرب ومُرة »[1] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان ﷺ يغير الاسم القبيح إلى الاسم الحسن)[2] .

قال الطبري : لا ينبغي التسمية باسم قبيح المعنى ولا باسم يقتضي التزكية له ولا باسم معناه السب ، ولو

= (٢/ ١١٩) ، والبيهقي . وإسناده ضعيف من أجل عقيل بن شبيب ، قال الذبي : «لا يعرف هو ولا الصحابي إلا بهذا الحديث» وقال الحافظ «مجهول» كذا قال الألباني في الإرواء ٤/ ٤٠٨ .

(١) رواه ابن وهب في (الجامع ص ٧) وإسناده مرسل صحيح رجاله ثقات رجال مسلم ، وأخرجه ابن وهب من رواية أخرى مرسلة وإسناده صحيح أيضاً .
وللحديث شاهد موصول وهو الحديث المتقدم وبهذا يكون الحديث ثابتاً إن شاء الله أفاده الألباني في السلسلة برقم (١٠٤٠) بتصرف .

(١) أخرجه الترمذي (٢/ ١٣٧) ، وابن عدي (٢/ ٢٤٥) وهو صحيح لشواهده أفاده الألباني في السلسلة رقم الحديث (٢٠٧) .

كانت الأسماء إنما هي أعلام للأشخاص لا يقصد بها حقيقة الصفة ، لكن وجه الكراهية أن يسمع سامع بالاسم فيظن أنه صفة للمسمى ، فلذلك كان ﷺ يحول الاسم إلى ما إذا دعي به صاحبه كان صدقاً . وقد غير رسول الله ﷺ عدة أسماء[1] .

الحديث الرابع : عن عبدالله بن بريدة رضي الله عنه عن أبيه قال : (كان ﷺ لا يتطير من شيء ، وكان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه ، فإذا أعجبه اسمه ، فَرِحَ به ورئي بِشرُ ذلك في وجهه ، وإن كره اسمه ، رُؤِيَ كراهية ذلك على وجهه ، وإذا دخل قرية سأل عن اسمها ، فإن أعجبه اسمها فرح بها ، ورئي بِشرُ ذلك في وجهه ، وإن كره اسمها رئي كراهية ذلك في وجهه)[2] .

فهذا الحديث قد يظن به أنه ﷺ كان يتشاءم من بعض الأسماء القبيحة ، مع أنه نهى عن ذلك في أحاديث

---

(١) فتح الباري ١٠/٤٧٦ .

(٢) أبو داود (٢/٨٥٩) ، وابن حبان (١٤٣٠) ، وتمام في الفوائد (٢/١٠٩) ، وأحمد (٥/٣٤٧ ـ ٣٤٨) ، وابن عساكر (٢/٦٢/١) وإسناده صحيح على شرط الصحيحين قاله الألباني في السلسلة رقم الحديث (٧٦٢) .

كثيرة ، ولقد قال الراوي في بداية الحديث أنه «كان ﷺ لا يتطير من شيء» وقد تقرر في الأصول أن الراوي أعلم بمراد الحديث ، وصرح أنه ﷺ كان لا يتشاءم من شيء وهو أحق من غيره في تفسير هذا الحديث .

ويمكن أن يكون هذا منه ﷺ على سبيل التأديب لأمته لئلا يتسموا بالأسماء القبيحة ، وليبادر من أسلم منهم وله اسم قبيح إلى إبداله بغيره من غير إيجاب منه ولا إلزام ولكن لوجهين من الاستحباب :

أحدهما : انتقالهم عن مذاهب آبائهم ومقاصد سلفهم الفاسدة القبيحة التي يحزن بها بعضهم بعضاً عند سماعها وموافاة أهلها ومخالطتهم ومفاجأتهم لما يبقى في ذلك مِن آثار الطيرة الكامنة في الغريزة ، فإن سلم العبد منها وجاهد نفسه عليها عند لقيا صاحبها وسماعه لاسم أخيه لم يسلم من الكمد وحزن القلب وقد يؤدي ذلك إلى البغضاء وإلى ضرب من النفرة والتفرقة ، كالصديق يدعوه الصديق القبيح الاسم فقد يتمنى خاطره أنه لم يصحبه ولا رآه ولا سمع اسمه حتى إذا سمع به ودعاه ذو الاسم الحسن ابتهج إليه وأقبل عليه وسر بصياحه ودعائه له لراحة قلبه إلى حسن اسمه فقد يدنو البعيد من قلبه ويبعد الصديق

من نفسه من أجل اسمه فكيف به إذا رآه من يومه وعبر له تعبير السوء من اشتقاق اسمه كيف يعود متمنياً لفقده في رقاده متكرهاً للقائه متطيراً لرؤيته وهذا ضد التواد والتراحم والتوالف الذي قصد الشارع ربطه بين المؤمنين فكره ﷺ لأمته مقامها على حالة يؤذي بها بعضهم بعضاً لغير عذر ولا فائدة تعود عليهم لا في الدنيا ولا في الآخرة ويؤدي هذا إلى التقاطع والتنافر، مع أنه ﷺ قد ندبهم واستحب لهم إدخال أحدهم السرور على أخيه المسلم ما استطاع ودفع الأذى والمكروه عنه فقال: «لا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً المسلم أخو المسلم» وقد أمرهم يوم الجمعة بالغسل والطيب عند اجتماعهم لئلا يؤذي بعضهم بعضاً برائحته التي إنما يتجشمها ساعة للاجتماع ثم يفترقان ومنع أكل الثوم والبصل مع دخول المسجد لأجل تأذي الناس والملائكة به ومنع الاثنين أن يتناجيا دون صاحبهما خشية تأذيه وحزنه ومنع أحدهم أن يأخذ متاع أخيه لاعباً لأن ذلك يؤذيه. ومعلوم أن ضرر الاسم القبيح على كثير منهم أشد عليه عند همه وخروجه من منزله ورؤية صاحبه في منامه ودعائه من رائحة الثوم والبصل، وهذا من كمال رأفته ورحمته ﷺ بالمؤمنين

وعزة ما عنتوا عليه ولهذا والله يعلم أنه غير كثيراً من الأسماء القبيحة بأحسن منها وغير أسماء حسنة إلى غيرها خشية الطيرة والتأذي عند نفيها والخروج من عند المسمى أو لتضمنها تزكية النفس ونحوها[1] .

الحديث الخامس : عن حفصة رضي الله عنها قالت : « كان النبي ﷺ يجعل يمينه لأكله وشربه ووضوئه وثيابه وأخذه وعطائه ؛ وشماله لما سوى ذلك »[2].

فقد يستدل بهذا الحديث على أنه كان ﷺ يحب التيمن بكل شيء ويكره ضده ، وهو استعمال اليمين بالأشياء المحمودة ، فقد كان يجعل شماله للأشياء المكروهة . والجواب عن ذلك أن محبته ﷺ التيمن في تنعله وترجله وطهوره وشأنه كله ، فليس هذا من باب الفأل ولا التطير بالشمال، ولكن تفضيل اليمين على الشمال فكان يعجبه أن يباشر الأفعال التي هي من باب الكرامة باليمين كالأكل والشرب والأخذ والعطاء ، وضدها

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢/٤٨ .

(٢) أخرجه أحمد (٦ ـ ٩٤ ، ١٣٠ ، ١٤٧) وصححه الألباني انظر صحيح الجامع (٤٧٨٨) .

بالشمال ، كالاستنجاء وإمساك الذكر وإزالة النجاسة فإن كان الفعل مشتركاً بين العضوين ، بدأ باليمين في أفعال التكريم وأماكنه كالوضوء ودخول المسجد، وباليسار في ضد ذلك كدخول الخلاء والخروج من المسجد ونحوه ، والله تعالى فضل بعض مخلوقاته على بعض وفضل بعض جوارح الإنسان وأعضائه على بعض ، ففضل العين على الكعب والوجه على الرجل وكذلك فضل اليد اليمنى على اليسرى ، وخلق خلقين صنفين : سعداء ، وجعلهم أصحاب اليمين ، وأشقياء ، وجعلهم أصحاب الشمال . كما قال تعالى : ﴿ **وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال** ﴾ فأصحاب اليمين هم أحباء الله تعالى وأولياؤه ، وأصحاب الشمال هم أعداؤه عز وجل .

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ لما عرج به وجاء إلى السماء الأولى التي فيها آدم عليه عليه السلام وإذا به قاعد، على يمينه أسودة[1] وعلى يساره أسودة ، إذا نظر قبل يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكى ، فقال

---

(١) أشخاص .

مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح . قلت لجبريل : من هذا؟ قال : هذا آدم وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم[1] بنيه ، فأهل اليمين منهم أهل الجنة ، والأسودة التي عن شماله أهل النار ، فإذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر عن شماله بكى . . . . »[2].

فهذا الحديث يبين أن أصحاب اليمين هم الذين يحبهم الله جلَّ وعلا وهم أصحاب الجنة ، وأصحاب الشمال هم الذين يبغضهم الله جلَّ وعلا وهم أصحاب النار ولا دخل لذلك في الطيرة والتشاؤم ، ولكن التفضيل بين الأمرين ، ولا شك أن أصحاب الجنة هم الفائزون ، جعلنا الله تعالى منهم .

□ □ □

---

(١) أرواح بني آدم .
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ١/٤٥٨ .

كفَّارَة من تَطيَّر

إذا وقع المؤمن في التطير وتشاءم من بعض الأمور فإن عليه أن يقول دعاءً وهو : « اللهم لا طير إلا طيرك ، ولا خير إلا خيرك ، ولا إلٓه غيرك » ، فإن قال ذلك محا الله عز وجل بمنّه وكرمه ما كان عليه من ذنب في التطير .

قال في النهاية : (الكَفَّارة) في الحديث اسماً وفعلاً مفرداً وجمعاً ، وهي عبارة عن الفعلة والخصلة التي من شأنها أن تُكَفِّر الخطيئة : أي تسترها وتمحوها ، وهي فعالة للمبالغة ، كقتالة وضرابة ، وهي من الصفات الغالبة من باب الأسمية(١) .

فعن فضالة بن عبيد الأنصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من ردته الطيرة ، فقد قارف الشرك » قالوا : وما كفارة ذلك يا رسول الله؟ قال : يقول أحدهم : « اللهم لاطير إلا طيرك ، ولا خير إلا خيرك ، ولا إلٓه غيرك »(٢) .

---

(١) النهاية في غريب الحديث ٤/ ١٨٨ .

(٢) تقدم تخريجه.

قوله : (من ردته الطيرة) أي : فعل كما يفعل الجاهليون ، فإذا أراد أن يسافر أو نحوه ، يهيج طيراً فإذا طار يسره رجع ولم يسافر .

وفي رواية : « من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك »[1] وقوله : (قارف الشرك) أي : فعله .

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب : وذلك أن التطير هو التشاؤم بالشيء المرئي أو المسموع فإذا استعملها الإنسان فرجع بها عن سفره ، وامتنع بها عما عزم عليه ، فقد قرع باب الشرك ، بل ولجه وبرىء من التوكل على الله ، وفتح على نفسه باب الخوف والتعلّق بغير الله ، وذلك قاطع له عن مقام ﴿ **إياك نعبد ، وإياك نستعين** ﴾ فيصير قلبه متعلقاً بغير الله ، وذلك شرك ، فيفسد عليه إيمانه ، ويبقى هدفاً لسهام الطيرة ، ويقيض له الشيطان من ذلك ما يفسد عليه دينه ودنياه ، وكم ممن هلك بذلك وخسر الدنيا والآخرة[2] .

قوله: (لا طير إلا طيرك) أي: أن الطير من

---

(١) أخرجه أحمد ٢/٢٠٢ .

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٤٣٩ .

مخلوقاتك ولا يضر ولا ينفع ، وإنما الذي يضر وينفع هو أنت سبحانك .

□ □ □

علاج التطّير

إن الناظر المتأمل في الشريعة الإسلامية بعين البصيرة ، يؤمن إيماناً كاملاً بهذه الآية : ﴿ **ما فرطنا في الكتاب من شيء** ﴾ [الأنعام : ٣٨] ومن ذلك أن الله جلَّ وعلا جعل لكل داء دواء ، وقد بينًا هذا المرض الذي نحن بصدده وها نحن نبين العلاج وأوله :

١ ـ التوكل :

وهو أن نسند الأمر لله ونعتمد عليه بكل الأمور والشؤون مع بذل الأسباب . والتوكل فريضة يجب إخلاصه لله تعالى لأنه من أفضل العبادات ، وأعلى مقامات التوحيد . بل لا يقوم به على وجه الكمال إلا خواص المؤمنين ، كما تقدم في صفة السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنه بلا حساب ولا عذاب ولذلك أمر الله به في غير آية من القرآن أعظم مما أمر بالوضوء والغسل من الجنابة ، بل جعله شرطاً في الإيمان والإسلام . مفهوم ذلك انتفاء الإيمان والإسلام عند انتفائه كما قال تعالى : ﴿ **وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين** ﴾ [المائدة : ٢٣] .

وقال تعالى : ﴿**فاعبده وتوكل عليه**﴾ [هود: ١٢٣] .

وقال تعالى : ﴿ **وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً** ﴾ [الفرقان : ٥٨] .

وقال تعالى : ﴿ **ومن يتوكل على الله فهو حسبه** ﴾ [الطلاق : ٣] .

قال ابن القيم : أي كافيه ، ومن كان الله كافيه وواقيه ، فلا مطمع فيه لعدوه ، ولا يضره إلا أذى لابد كالحر والبرد والجوع والعطش .

وأما أن يضره بما يبلغ به مراده فلا يكون أبداً ، وفرق بين الأذى الذي هو في الظاهر إيذاء ، وهو في الحقيقة إحسان إليه، وإضرار بنفسه، وبين الضرر الذي يشتفي به منه .

قال بعض السلف : جعل الله لكل عمل جزاء من نفسه ، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته ، فقال : ﴿ **ومن يتوكل على الله فهو حسبه** ﴾ [الطلاق : ٣] ولم يقل : فله كذا وكذا من الأجر ، كما قال في الأعمال ، بل جعل نفسه سبحانه كافي عبده المتوكل عليه ،

وحسبه ، وواقيه ، فلو توكل العبد على الله حق توكله ، وكادته السموات والأرض وما فيهن ، لجعل له مخرجاً ، وكفاه ، ونصره[1] .

وعلى هـذا يكون التوكل على الله عز وجل من أعظم الأمور وأهمها للتخلص من التطير والطيرة والشؤم وغيرها من أمور الشرك .

٢ ـ العلم أن كل شيء يسير بقدر الله :

ومرادنا ها هنا النعم والمصائب فكلها داخلة تحت مشيئة الله وقدره كما قال تعالى : ﴿ **ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير** ﴾ [الحديد : ٢٢] .

أي : مـا أصـاب من مصيبـة في الأرض من قحط وضعف النبـات ونقص في الثمـار ولا في أنفسكم من أوصاب وأسقام وضيق المعاش إلا كانت مكتوبة ومعلومة في اللوح المحفوظ (من قبل أن نبرأها) أي : نخلقها ، (إن ذلك على الله يسير) أي : إثباتها في الكتاب على

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٤٤٩ ـ ٥٠١ .

كثرته فهو على الله يسير غير عسير[1] .

وعلى هذا يكون العبد مطمئناً في هذه الأمور ، فلا داعي إلى التطير والطيرة ، لأن الضر والنفع تحت مشيئة الله وقدره كما قال رسول الله ﷺ : « كل شيء بقدر حتى العجز والكيس ، أو العجز والكيس »[2] .

ومعنى الحديث واضح : أن جميع الأمور إنما هي بتقدير الله في الأزل ، فالذي قدر لا بد أن يقع ، والمراد كل المخلوقات بتقدير محكم ، وهو تعلق الإرادة الأزلية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب (حتى العجز) أي : التقصير فيما يجب فعله أو من الطاعة أو أعم(والكيس) بفتح الكاف أي : النشاط والحذق والظرافة أو كمال العقل أو شدة معرفة الأمور أو تمييز ما فيه الضر من النفع[3] .

وبين في حديث آخر أن الطير بذاته يسير بقدر الله

---

(١) فتح القدير ٥/١٧٦ .

(٢) أخرجه مالك (٣/٩٣) ، ومسلم (١٧/٥) ، والبخاري في أفعال العباد (ص ٧٣)، وأحمد (٢/١١٠).

(٣) فيض القدير ٤/٢٢ .

عز وجل كما قال ﷺ : « الطير تجري بقدر ، وكان يعجبه الفأل الحسن »[1] .

فإذا كانت الطير تجري بقدر الله عز وجل ، فلماذا يحمّلها هؤلاء الجهلة من المشركين في القديم ومن جهال المسلمين في الحديث ما لا تحتمل ويظنون أنها تجلب النفع أو تدفع الضر بزعمهم، لا شك أن هذا كله ناتج عن عدم ثقتهم بالله عز وجل وأنه على كل شيء قدير، وأنه بيده كل شيء ، لأن من آمن بهذه الخرافات اعتقد أن الطير لا تجري بقدر الله جل وعلا ، وهذا منافٍ للأيمان وللإسلام ، فلا بد من الإيمان أن الله على كل شيء قدير وأنه بيده كل شيء ، وأن كل شيء يسير بقدر منه عز وجل ، ولا نجاة لأحد إلا بذلك . والله أعلم .

٣ ـ الاستخارة :

وهي استفعال من الخير أو من الخيرة بكسر أوله وفتح ثانية بوزن العنبة ، اسم من قولك خار الله له ،

---

(١) أخرجه الحاكم (١/٣٢) ، وأحمد (٦/١٢٩ ـ ١٣٠) ، وابن أبي عاصم في السنة (٢٥٤) ، وصححه الألباني في السلسلة رقم الحديث (٧٦٠) .

واستخار الله طلب منه الخيرة ، وخار الله له أعطاه ما هو خير له ، والمراد طلب خير الإمرين لمن احتاج إلى أحدهما[1].

والاستخارة من أعظم العبادات ، وهي تمام التوكل على الله عز وجل ، وإسناد الأمر إليه ، والاعتماد عليه ، وهي البديل من التطير والطيرة . فما أعظم ديننا الذي لم يترك باباً من الشرك إلا سده وقضى عليه ، وكان النبي ﷺ يعلم الصحابة الاستخارة في كل الأمور كما يعلمهم السورة من القرآن، فعن جابر رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن يقول : « إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم يقول : اللهم إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال : في عاجل أمري وآجله ـ فاقدُره لي . وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني

---

(١) فتح الباري ١١/١٨٣.

ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال في عاجل أمري وآجله ـ فاصرفه عني واصرفني عنه ، واقدر لي الخير حيث كان ثم رضِّني به . ويسمي حاجته »[1] .

وفي الحديث شفقة النبي ﷺ بأمته وتعليمهم جميع ما ينفعهم في دينهم ودنياهم ، وفيه أن العبد لا يكون قادراً إلا مع الفعل لا قبله ، والله خالق العلم بالشيء للعبد وهمه به واقتداره عليه . فإنه يجب على العبد رد الأمور كلها إلى الله ، والتبري من الحول والقوة إليه وأن يسأل ربه في أموره كلها[2] وفيه استحباب صلاة الاستخارة والدعاء المأثور بعدها في الأمور التي لا يدري العبد وجه الصواب فيها ، أما ما هو معروف خيره كالعبادات وصنائع المعروف فلا حاجة للاستخارة فيها[3] .

قال الإمام النووي : وإذا استخار مضى بعدها لما ينشرح له صَدرُهُ[4] .

---

(١) أخرجه البخاري ١١/١٨٣ من الفتح .
(٢) المصدر السابق .
(٣) التحفة ٢/٥٩٣ .
(٤) الإذكار ٣/٣٥٥ .

٤ ـ الانتقال من المكان الذي يظن أنه مشؤوم:

وهذا الظن هو الشك لا اليقين ، لأن الصواب أَنْ لا شأم لما تقدم في نفي الطيرة والشؤم من الأحاديث الصحيحة ، وبالله التوفيق .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رجل : يا رسول الله إنا كنا في دار كثير فيها عددنا ، كثيرة فيها أموالنا ، فتحولنا إلى دار أخرى ، فقل فيها عددنا وقلت فيها أموالنا ، فقال رسول الله ﷺ : « ذروها ذميمة »(١) .

قوله : (ذروها ذميمة) أي : اتركوها مذمومة ، فعلية بمعنى مفعولة ، وإنما أمرهم بالتحول عنها إبطالاً لما وقع في نفوسهم من أن المكروه إنما أصابهم بسبب سكنى الدار ، فإذا تحوَّلوا عنها انقطعت مادة ذلك الوهم وزال ما خامرهم من الشبهة(٢).

ويحتمل أن يكون قلّ مالهم بها لجدبها وقلة خصبها

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٣٢) ، وأبو داود (٢/ ١٥٩) ، ومن طريق آخر أخرجه الإمام مالك (٣/ ١٤٠) ، وحسنه الألباني في السلسلة ٢/ ٤٣٣ .

(٢) النهاية ٢/ ١٦٩ .

أو وخامتها . وقل عددهم لقلة مالهم أو لوخامة البلد[1] ومعنى لوخامة البلد ، أي : كراهيته ونتن رائحته ، لطول مكثهم فيها .

وعن يحيى بن سعيد أنه قال : «جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله دار سكناها والعدد كثير ، والمال وافر ، فقل العدد ، وذهب المال ، فقال رسول لله ﷺ : دعوها ذميمة»[2]وهذه الأحاديث لا يفهم منها إثبات الشؤم ولكن كما قال العلماء: إنما أمرهم ﷺ بالتحول عنها إبطالاً لما وقع في نفوسهم من أن المكروه إنما أصابهم بسبب سكنى الدار ، وقد تقدم فصلٌ كاملٌ في نفي الطيرة والشؤم نهائياً .

وحكى بعض العلماء وهو ابن عبد البر : في قوله : (دعوها ذميمة) أي : دعوها وأنتم لها ذامون وكارهون ، لما وقع في نفوسكم من شؤمها .

ورجح في آخر كلامه بقوله : وعندي أنه إنما قاله

---

(١) أوجز المسالك ١٥/١٩٤ .

(٢) تقدم تخريجه.

خشية عليهم التزام الطيرة[1] وهو كلام سديد لمن تأمل ذلك .

وقال البغوي : أمرهم بالتحول عنها ، لأنهم كانوا على استثقال واستيحاش ، فأمرهم بالانتقال عنها ليزول عنهم ما يجدون من الكراهة ، لا لأنها سبب في ذلك[2] .

وتكلم ابن العربي المالكي في ذلك ووافق ما ذهب إليه العلماء إذا قال : إنما أمرهم بالخروج عنها لاعتقادهم أن ذلك منها وليس كما ظنوا ، لكن الخالق جعل ذلك وقتاً لظهور قضائه ، وأمرهم بالخروج عنها ، لئلا يقع لهم بعد ذلك شيء فيستمر اعتقادهم ، وأفاد وصفها جواز ذلك ، وأن ذكرها بقبيح ما وقع فيها سائغ من غير اعتقاد أن ذلك منها ولا يمنع ذم المحل المكروه[3] .

٥ ـ الفأل :

وهو ضد الطيرة ، وهي فيما يكره والفأل فيما

---

(١) أوجز المسالك ١٥/١٩٥ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق ..

يستحب ، وقيل في تعريف الفأل : أن يكون الرجل مريضاً فيسمع آخر يقول يا سالم ، أو يكون الرجل طالب ضالة فيسمع آخر يقول يا واجد ، فيقول : تفاءلت بكذا ، ويتوجه له في ظنه كما سمع أنه يبرأ من مرضه أو يجد ضالته[1] .

وقد فسر النبي ﷺ الفأل : بالكلمة الصالحة يسمعها أحدكم ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « لا طيرة ، وخيرها الفأل » ، قالوا : وما الفأل يا رسول الله ؟ قال : « الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم »[1] .

ولما نهى الشارع عن الطيرة والشؤم ، جعل الفأل البديل والعلاج عنها ، والسبب في ذلك أن الطيرة سوء الظن بالله تعالى، والفأل حسن الظن بالله تعالى، والمسلم مأمور أن يحسن الظن مع الله عز وجل، وأن يتوكل عليه ولا يسيء الظن بالله عز وجل. ويأتي تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى.

□ □ □

---

(١) لسان العرب ٣/١٠٤٢ .
(٢) أخرجه البخاري ١٠/٢١٤ ، ومسلم ٤/١٧٤٦ .

تعريف الفأل

تبين لك بحمد الله تعالى فيما تقدم أن الطيرة والتشاؤم ، من الشرك وقد أبطلها النبي ﷺ ، والفارق بينها وبين الفأل كالفارق بين الظلمات والنور .

ولقد خصصنا هذا الفصل لشرح معنى الفأل وذكر أحاديث فيها وأقوال بعض العلماء الأجلاء .

معنى الفأل : الفأل : ضد الطيرة ، والجمع فؤول ، وقال الجوهري : الجمع أفؤل ، وأنشد للكميت :

ولا أسألك الطير عما تقول
ولا تتخالجني الأفْؤل

وتفاءلت بكذا وتفألت .

وقال في النهاية : يقال : تفاءلت بكذا وتفألت ، على التحقيق والقلب ، وقد أولع الناس بترك همزه تخفيفاً .

والفأل : أن يكون الرجل مريضاً فيسمع آخر يقول يا سالم ، أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول

يا واجد ، فيقول : تفاءلت بكذا ، ويتوجه له في ظنه كما سمع أنه يبرأ من مرضه أو يجد ضالته .

وفي الحديث : «كان ﷺ يحب الفأل ويكره الطيرة»[1] والطيرة : ضد الفأل ، وهي فيما يكره كالفأل فيما يستحب ، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء ، والفأل يكون فيما يحسن وفيما يسوء .

وقال النبي ﷺ : «لا عدوى ولا طيرة ، ويعجبني الفأل الصالح الكلمة الحسنة»[2].

وفي رواية : «لا عدوى ولا طيرة وأحب الفأل الصالح»[3] .

وفي رواية : «كان ﷺ يتفاءل ولا يتطير ، ويعجبه الاسم الحسن»[4] وهذا يدل على أن من الفأل ما يكون صالحاً ومنه ما يكون غير صالح ، وإنما أحب النبي ﷺ ،

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٥٣٦) ، وحسنه الحافظ في الفتح ١٠/٢١٤ - ٢١٥ .

(٢) البخاري ١٠/٢١٤ ومسلم ٤/١٧٤٦ .

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

الفأل لأن الناس إذا أملوا فائدة الله ورجوا عائدته عند كل سبب ضعيف أو قوي فهم على خير، ولو غلطوا في جهة الرجاء فإن الرجاء لهم خير، ألا ترى أنهم إذا قطعوا أملهم ورجاءهم من الله كان ذلك من الشر؟ وإنما أخبر النبي ﷺ، عن الفطرة كيف هي وإلى أي شيء تنقلب.

فأما الطيرة فإن فيها سوء الظن بالله وتوقع البلاء، ويحب الإنسان أن يكون لله تعالى راجياً، وأن يكون حسن الظن بربه(١).

وأخرج البخاري رحمه الله: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا طيرة وخيرها الفأل»، قالوا: وما الفأل يا رسول الله؟ قال: «الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم»(٢).

وأخرج: عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل الصالح؛ الكلمة الحسنة»(٣).

---

(١) لسان العرب ٢/١٠٤٢.
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) المصدر السابق.

قال الحافظ رحمه الله : الفأل : بفاء ثم همزة وقد تسهل ، والجمع فؤول بالهمزة جزماً .

وقوله : « وخيرها الفأل » ، قال الكرماني تبعاً لغيره : هذه الإضافة تشعر بأن الفأل من جملة الطيرة ، وليس كذلك ، بل هي إضافة توضيح . ثم قال : وأياً كان فإن من جملة الطيرة كما تقدم تقريره التيامن ، فبين بهذا الحديث ، أنه ليس كل التيامن مردوداً كالتشاؤم ، بل بعض التيامن مقبول .

قلت (أي الحافظ) وفي الجواب الأول دفع في صدر السؤال ، وفي الثاني تسليم السؤال ودعوى التخصيص ، وهو أقرب . وقد أخرج ابن ماجه بسند حسن عن أبي هريرة رفعه : « كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة »[1] ، وعن حابس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « لا شيء في الهام ، والعين حق ، وأصدق الطيرة الفأل »[2] ففي هذا التصريح ، أن الفأل من جملة

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) أخرجه أحمد ٤/٦٧ ، ٥/٧٠ ، ٣٧٦ والترمذي (٢٠٦٢) وصححه الألباني انظر صحيح الجامع (٧٣٧٩) .

الطيرة لكنه مستثنى .

وقال الطيبي : الضمير المؤنث في قوله : « وخيرها » راجع إلى الطيرة ، وقد علم أن الطيرة كلها لا خير فيها ، فهو كقوله تعالى : ﴿ **أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً** ﴾ وهو مبني على زعمهم ، وهو من إرخاء العنان في المخادعة ، بأن يجري الكلام على زعم الخصم حتى لا يشمئز عن التفكر ، فإذا تفكر ، فأنصف من نفسه ، قبل الحق - فقوله : «خيرها الفأل» إطماع للسامع في الاستماع والقبول ، لا أن في الطيرة خيراً حقيقة . أو هو من نحو قولهم : والصيف أحر من الشتاء ؛ أي الفأل في بابه أبلغ من الطيرة في بابها .

والحاصل ، أن (أفعل) التفضيل في ذلك ، إنما هو بين القدر المشترك بين الشيئين ، والقدر المشترك بين الطيرة والفأل تأثير كل منهما فيما هو فيه ، والفأل في ذلك أبلغ .

قال الخطابي : وإنما كان ذلك ، لأن مصدر الفأل عن نطق وبيان ، فكأنه خبر جاء عن غيب ، بخلاف غيره ، فإنه مستند إلى حركة الطائر أو نطقه ، وليس فيه

بيان أصلاً ، وإنمـا هو تكلف ممن يتعـاطاه وقـد أخرج الطبري عن عكرمة قال : كنت عند ابن عباس ، فمر طائر فصاح ، فقال رجل : خير خير . فقال ابن عبـاس : ما عند هذا لا خير ولا شر .

وقال أيضاً : الفرق بين الفأل والطيرة ، أن الفأل من طريق حسن الظن بالله ، والطيرة لا تكون إلا في السوء ، فلذلك كرهت .

وقال النووي : الفأل يستعمل فيما يسوء وفيما يسر ، وأكثره في السرور . والطيرة لا تكون إلا في الشؤم ، وقد تستعمـل مجازاً في السـرور اهـ . وكـأن ذلـك بحسب الواقع ، وأما الشرع فخص الطيرة بما يسوء والفـأل بما يسر ، ومن شرطه أن لا يقصد إليه ، فيصير من الطيرة .

قـال ابن بطال : جعـل الله في فطر النـاس محبـة الكلمـة الطيبـة والأنس بها ، كمـا جعل فيهم الارتيـاح بالمنظر الأنيق والماء الصافي، وإن كـان لا يملكه ولا يشربه. وأخرج الترمذي وصححه من حديث أنس: «أن النبي ﷺ ، كـان إذا خرج لحـاجته يعجبـه أن يسمع :

يا نجيح يا راشد»[1] .

وعن بريد : « أن النبي ﷺ كان لا يتطير من شيء ، وكان إذا بعث عاملاً يسأل عن اسمه ، فإذا أعجبه فرح به ، وإن كره اسمه رُئي كراهة ذلك في وجهه »[2] .

وذكر البيهقي في « الشُّعَب » عن الحليمي ما ملخصه : كان التطير في الجاهلية في العرب إزعاج الطير عند إرادة الخروج للحاجة ـ فذكر نحو ما تقدم ثم قال : وهكذا كانوا يتطيرون بصوت الغراب ، وبمرور الظباء ، فسموا الكل تطيراً ، لأن أصله الأول . قال : وكان التشاؤم في العجم ، إذا رأى الصبي ذاهباً إلى المعلم تشاءم ، أو راجعاً تيمن ، وكذا إذ رأى الجمل موقراً حملاً تشاءم ، فإن رآه واضعاً حمله تيمن . . ونحو ذلك . فجاء الشرع برفع ذلك كله وذلك إذا اعتقد أن الذي يشاهده من حال الطير موجباً ما ظنه ، ولم يضف التدبير إلى الله تعالى ، فأما إن علم أن الله هو المدبر ، ولكنه أشفق

---

(١) أخرجه الترمذي (١٦١٦) ، والحاكم وأبو نعيم والطيالسي وهو صحيح انظر صحيح الجامع (٤٨٥٤) .

(٢) تقدم تخريجه .

من الشر ، لأن التجارب قضت بأن صوتاً من أصواتها معلوماً أو حالاً من أحوالها معلومة يردفها مكروه ، فإن وطن نفسه على ذلك أساء ، وإن سأل الله الخير واستعاذ به من الشر ومضى متوكلاً ، لم يضره ما وجد في نفسه من ذلك ، وإلا فيؤاخذ به . وربما وقع به ذلك المكروه بعينه الذي اعتقده عقوبه له ، كما كان يقع كثيراً لأهل الجاهلية . والله أعلم .

قال الحليمي : إنما كان ﷺ يعجبه الفأل ، لأن التشاؤم سوء الظن بالله تعلى بغير سبب محقق ، والتفاؤل حسن الظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال.

وقال الطيبي : معنى الترخص في الفأل من الطيرة ، هو أن الشخص لو رأى شيئاً فظنه حسناً محرضاً على طلب حاجته فليفعل ذلك ، وإن رآه بضد ذلك فلا يقبله ، بل يمضي لسبيله ، فلو قبل وانتهى عن المضي فهو الطيرة التي اختصت بأن تستعمل في الشؤم ، والله أعلم [1] والخلاصة أن الفأل من الأمور التي أباحها

---

(١) فتح الباري ١٠/٢١٤-٢١٥ .

الشارع على لسان رسوله ﷺ ، ويكفي أنها حسن الظن بـالله عز وجـل ، وهذا من أعـظم الأمور وأجلها عنـده سبحانه .

وثمـة قضيـة وهي أن العبـد قـد يتـوكـل على الله عز وجل ، ثم يمضي في حاجته فيصيبـه مكروه وأذى ، فكيف يكون هذا وقد ظن بالله ظناً حسناً؟

فنقول هذا من باب الابتلاء وليس من باب الطيرة ، ويبتلى المؤمن على قدر دينه ، ومـا خلق الله الخلق إلا للابتلاء كما قال تعالى : ﴿ **الذي خلق المـوت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً** ﴾ [الملك : ٢] .

●●●

أقسام التشاؤم والتطير والنحس عند الناس

١ ـ يتشاءمون بالأيام والأشهر، مثل، شهر صفر وشوال.

٢ ـ بالحيوانات مثل: الحية، الغراب، القط الأسود، مرور الظباء، القرد، البومة.

٣ ـ بالأشخاص مثل، الأعور، الأسود، الأحدب، القبيح، المجذوم.

٤ ـ بالأشجار المتجردة من الأغصان.

٥ ـ بالأرقام مثل: (١٣) عند النصارى، وخاصة في المستشفيات النصرانية، لا يوجد عندهم جناح رقم (١٣)، ورقم (٧) عند أهل البادية، ورقم (١٠) عند الروافض، لبغضهم للعشرة المبشرين.

٦ ـ بالأصوات: صوت الغراب، صوت المطافي، صوت الاسعاف.

٧ ـ بالأحلام المخيفة والمزعجة.

٨ ـ بالألوان: كلون الدم.

٩ ـ عند انكسار الكأس، يقولون: انكسر الشر.

١٠ ـ بالمقص إذا كان مفتوحاً.

١١ ـ تقليم الأظافر بالليل.

١٢ ـ السباحة في الليل بقصد النظافة.

١٣ ـ من الجنب.

١٤ ـ العطاس.

١٥ ـ الضحك الكثير.

١٦ ـ عند رفة شجون العيون، يقولون: سيصيبنا مكروه، وهذا من عمل الشيطان، كما جاء في الحديث، عن زينب امرأة عبد الله ابن مسعود، أن عبد الله ابن مسعود رأى في عنقي خيطاً، فقال: ما هذا؟ قلت: خيط رقي لي فيه، قالت: فأخذه فقطعه، ثم قال: أنتم آل عبد الله لأغنياء عن الشرك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك» فقلت: لم تقول هكذا؟ لقد كانت عيني تقذف، وكنت أختلف إلى فلان اليهودي، فإذا رقاها سكنت، فقال عبد الله: كف عنها، إنما كان يكفيك أن تقول كما قال رسول الله ﷺ يقول: «أذهب الباس، رب الناس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاءك، شفاء لا يغادر سقما» أخرجه أبو داود

والحاكم وابن ماجه وابن حبان وإسناده صحيح.

١٧ ـ تسمية الأولاد بتسمية الأحياء، كالأب أو الأم ونحوه.

١٨ ـ قولهم «رجل كبسة، أو فلان فقر».

١٩ ـ قولهم «رجل منحوس، أو منزل منحـوس، أو امرأة منحوسة، أو سيارة منحوسة... الخ».

٢٠ ـ قولهم «خير يا طير».

٢١ ـ مشاهدة وقوع حادث في الصباح.

٢٢ ـ مشاهدة أم الزوجة في الصباح.

٢٣ ـ مشاهدة رجل تبغضه فجأة بعد غياب طويل.

٢٤ ـ عند حكة اليد يقولون خير، وعند حكة الرِّجل يقولون شر.

٢٥ ـ عند رفة العين اليمنى يقولون خير، وعند رفة العين اليسرى يقولون شر. وهذا كله من البدع والشركيات والمحرمات ما أنزل الله بها من سلطان.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

●●●


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com